

# **إعاقة التوحد طبيعتها وخصائصها**

**أ.د. شاكر عطية قنديل**

**أستاذ الصحة النفسية**

**كلية التربية - جامعة المنصورة**

## إعاقة التوحد طبيعتها وخصائصها

### مشكلة تعريف الطفل التوحدي

فى عام ١٩٤٣م نشر كانر دراسة مشهورة عن مشكلات التواصل النفسى والاضطرابات التوحدية ، وفى العام التالى أطلق على هذا النوع من اضطرابات الطفولة مصطلح التوحد المبكر ، فى الطفولة ، وحدد لذلك الاضطراب زملة من الخصائص التشخيصية ممثلة فى خمس مظاهر على الوجه التالى :-

- عجز فى التواصل مع الآخرين يبدأ منذ ميلاد الطفل .
- إخفاق فى استخدام اللغة فى التواصل الفعال .
- نزوع قهرى من جانب الطفل لتحقيق التماثل فى كل شىء .
- انشغال تام بالأشياء فى مقابل انصراف تام عن الأشخاص . .
- أدلة على وجود قدر جيد من الإمكانيات المعرفية .

وقد استثنى " كانر " من بين أفراد هذه المجموعة أى طفل لديه تخلفا عقليا ، وبالإضافة إلى الخصائص السلوكية إليها فقد أضاف أيضا أن هؤلاء الأطفال ينتمون إلى آباء يتمتعون بذكاء فوق العادى .

وبمرور الوقت أصبح مصطلح التوحد الطفولى مصطلحا دارجا بين المتخصصين ، وما زال يستخدم حتى الآن كمرادف لمجموعة من المصطلحات الأخرى ، فهو غالبا يفضل استخدامه بديلا لمصطلح ذهان الطفولة ، أو فصام الطفولة ، إلا أن المصطلح كما يذكر " روتر - ١٩٨٣ " مازال غير مستقر ، وذلك نظرا لنقص الاتفاق على معايير محددة بتشخيص الطفل الذهاني ، وهذه الحالة يطلق عليها عدة مصطلحات منها : ذهان الطفولة ، والتوحد الطفولى ، وفصام الطفولة ، واضطرابات النمو . . . الخ .

ويبدو أن عدم الاتفاق على تحديد المصطلحات قد ترتب عليه صعوبات في التشخيص والتطبيق ، فليس من الممكن لأى نظام فى التربية أو العلاج أو الرعاية الداخلية أن يستجيب لظروف أطفال غير متجانسين لمجرد أن نطلق عليهم مصطلحا معينا ، ومن حسن الحظ أن كثيرا من الباحثين من بينهم "كانر" نفسه أصبحوا يضيقون بهذا التداخل فى عملية التشخيص وفى فصل فئة الأطفال التوحديين عن بقية حالات الذهان والفصام .

وسوف نعرض فيما يلى للخصائص التشخيصية لهؤلاء الأطفال كما وردت فى فى الدليل الإحصائى التشخيصى الثالث DSM R، والثالث المعدل DSM R لرابطة الطب النفسى الأمريكية .

كما سنعرض لمقارنة بين خصائص الأطفال الذين لديهم إعاقة التوحد والأطفال ذوى الإعاقة العقلية ، وبينهم وبين الأطفال الذهانيين ، ثم بينهم وبين الأطفال ذوى متلازمة إسبيرجر ، وذلك نظرا للفرق الكبير بين خصائص الإعاقين ، وأخيرا نعرض لخصائص التوحدية والإعاقة السمعية ، ونهدف من ذلك إلى توضيح أهم الفروق المميزة للأطفال التوحديين ؛ بما يساعد فى فرز هؤلاء الأطفال ، ويسهل عملية تشخيصهم :

أ - الخصائص التشخيصية للأطفال التوحديين فى دليل التشخيص الثالث لرابطة الطب النفسى الأمريكية :

- عجز عن المحاكاة .
- قصور واضح فى الاستجابة الاجتماعية .
- قصور لغوى واضح ، مع قلب فى مواضع الضمائر .
- نقص فى الاهتمامات ، والتعلق بأشياء تافهة .
- عدم وجود هذات أو هلاوس ، وعدم تفكك الشخصية .

- ظهور الأعراض بعد ثلاثين شهرا من الميلاد .
  - انسحاب اجتماعي ، وانطواء على الذات .
  - نشاط حركي مفرط .
  - عجز عن التخيل .
  - اضطرابات كيفية في التفاعل الاجتماعي .
- ب- الخصائص التشخيصية في دليل التشخيص المعدل لرابطة الطب النفسي الأمريكية :

- قصور في فهم مشاعر وأحاسيس الآخرين .
  - عدم السعي للراحة عند التعب ، أو المساعدة عند الخطر .
  - اللعب الانفرادي .
  - عدم القدرة على التقليد .
  - عدم القدرة على بناء صداقات مع الآخرين .
  - صعوبات في التواصل غير اللفظي .
  - حركات جسمية نمطية وقسرية .
  - التركيز في التعامل على جزء من البيئة .
  - التزام حاد بالتفاصيل الدقيقة في المأكل والملبس والمشرب .
  - الالتزام الحاد بترتيب كل شيء في نظام غير قابل للتعديل .
  - قصور وعجز عن فهم الانفعالات واستيعابها .
  - عدم الرغبة في النظر في وجوه الآخرين .
- ج - إعاقة التوحدية والإعاقة العقلية .
- اختلاف نسب الذكاء بينهما .
  - حوالي ٦٠% من الأطفال التوحديين لديهم صعوبات عقلية مع تباين نوعي في الأداء على اختبارات الذكاء .

- الطفل التوحدي ليست لديه اضطرابات حادة في الذاكرة بعكس المعاق عقليا .

- يستطيع المعاق عقليا التواصل اللفظي ، وغير اللفظي بعكس نظيره التوحدي .

- يستطيع الطفل المعاق عقليا المحاكاة والتقليد بعكس الطفل التوحدي الذي يعجز تماما عن ذلك .

- يستطيع الطفل المعاق عقليا تكوين علاقات اجتماعية بعكس نظيره التوحدي .

- سمات الطفل المعاق عقليا واضحة منذ الميلاد بعكس الطفل التوحدي الذي يبدو عاديا .

- يتمتع الطفل التوحدي بمهارات حركية بعكس الطفل المعاق عقليا .

#### د : إعاقة التوحد والاضطرابات الذهانية:

- يمكن لحالات الفصام أن تتكرر في الأسرة الواحدة ، بينما التوحدية غير ذلك.

- نسبة الإعاقة التوحدية بين الذكور أكثر منها لدى الإناث ( ٤-١ ) ، بينما يصيب الفصام الجنسين بنفس النسبة .

- التوحدية يصاحبها غالبا تخلف عقلي ، وليس الأمر كذلك في الفصام .

- لا يصاحب التوحدية هلاوس أو هذات، بينما تتأكد هذه الأعراض في حالات الفصام.

- تظهر التوحدية في السنوات الأولى من عمر الطفل، بينما لا يظهر الفصام قبل البلوغ.

- التوحدية اضطرابات نمائية ، بينما الفصام مرض عقلي .

- الطفل التوحدي يتمتع بصحة أفضل ، وقدرة حركية أفضل .

- الطفل التوحدي يتجنب النظر للآخر ، ونادراً ما يحدث ذلك في الفصام .
- هـ - الطفل التوحدي ومتلازمة إسبيرجر :
  - ظهور أعراض إسبيرجر تأتي متأخرة ( طفولة متأخرة ) بعكس التوحدية التي تظهر في
  - الثلاثين شهرا الأولى من الميلاد .
  - نسبة الذكاء في إسبيرجر قريبة من العادية، والتباين في الذكاء واضح في جانبيه اللفظي والعلمي .
  - لا يوجد لدى الطفل الإسبيرجر تأخر عام في اللغة، كما أن لديه صعوبات في استخدام الضمائر .
  - يتصف الطفل الإسبيرجر بالقلق ، والاكتئاب ، وضعف الحركة .
  - يرى د.فراج " أن هناك صعوبة حقيقية في التفرقة الحقيقية بين الطفل التوحدي و الإسبيرجر بتدقيق الملاحظة .
- و - التوحدية والإعاقة السمعية :
  - نسبة الذكاء في حالة الإعاقة السمعية أعلى من حالة التوحد .
  - في حالة الإعاقة السمعية هناك قدرة على تكوين علاقات اجتماعية .
  - التواصل غير اللفظي قائم في حالة الإعاقة السمعية .
  - سهولة تشخيص الإعاقة السمعية طبييا .
  - وفي ضوء هذه الفروق التشخيصية السابقة بين إعاقة التوحد والإعاقات الأخرى قريبة الشبه معها في الأعراض ، يمكن أن نخلص إلى أن التوحدية ليست :
    - نوعا من الإعاقات العقلية .
    - نوعا من الأمراض الذهانية كالفصام .
    - نوعا من الإعاقات السمعية كالصمم .

- ضمن نطاق زملة إسبيرجر .

- ضربا من شذوذ العبقرية .

- خصائص الأداء للأطفال التوحديين :

يجب فى البداية أن نحدد أهم خصائص الطفل التوحدى واستعداداته ، ثم نتطرق لظروفه البيئية - بعد ذلك - ؛ لكى نتبين أهم العوامل المؤدية إلى هذا القصور فى سلوكه :

إن الوصف العام لمكونات شخصية الطفل التوحدى لا تجعله مختلفا اختلافا جذريا عن الطفل العادى ، وربما يقف القصور اللغوى كأحد أهم العوامل المميزة لشخصيته عن العادى ، وعامة يمكن تحديد أهم مظاهر سلوكيات الطفل التوحدى فى مجموعة من الخصائص على الوجه التالى :

- أن الحصيلة اللغوية لديه ضعيفة ، كما أن قدرته على استخدام اللغة إرسالا واستقبالا تعتبر ضعيفة ، ولغته لا تحقق وظيفتها وأغراضها فى حياة الطفل ، وفى التأثير على بيئته .

- أن سلوكه سلوك محدود وضيق المدى .

- يشيع فى سلوكه نوبات انفعالية حادة ، وسلوكه لا يؤدى إلى نمو الذات ، وفى معظم الأحيان يكون مصدر إزعاج للآخرين .

- أن معظم سلوكياته سلوكات بسيطة مثل : تكوير قطعة لبان بيديه ، أو تدوير قلم بين أصابعه ، أو تكرار فك وربط رباط حذائه .

- تبدو معظم سلوكياته وكأنه مقهور على أدائها ، وكأن هناك نزعة قسرية لتحقيق التشابه فى كل شىء ، حيث إن التغيير بكل صورة يؤدى إلى استثارة مشاعر مؤلمة فى أعماقه .

- علاقاته بالآخرين تبدو مختلفة تماما عن الطفل العادى ، فهو لا يبدى أدنى قدر من الاهتمام بوجود الآخرين ، كما أنه لا ينظر أبدا لوجه أحد ، ومثال

على ذلك قد نجد أن الطفل قد يقترب من شخص بالغ ويبدو وكأنه كما لو كان يريد أن يعانقه ، ومن ثم قد يقترب منه ، بل ويجلس في حجره ، ولكنه يشيح بوجهه بعيدا ، فهو لا يتجه إلى الآخر ، ولا ينظر إليه مباشرة مثل العادى .

#### - أسباب السلوك التوحدى :

هل يمكن أن يكون هناك ظروف وملابسات خاصة فى حياة هؤلاء الأطفال تؤدى بهم إلى ذلك انقصور الحاد فى سلوكهم ؟

فى محاولة من جانب " فورستر - ١٩٨٣ " لتحديد البدايات الأولى لقصور الأداء الواضح منذ الطفولة المبكرة لدى هؤلاء الأطفال يشير إلى أن المبدأ العام الذى يحكم سلوك جميع الأجناس والكائنات الحية هو أن أى سلوك لا يظهر ولا يتكرر إلا فى ضوء النتائج التى تترتب عليه سلبا وإيجابا ، ومن ثم فإن سلوك الطفل التوحدى يمكن تشخيصه من خلال النتائج الوظيفية المترتبة على هذا السلوك ، وعليه فإن معظم المحاولات ينبغى أن تتركز على تحديد الآثار الخاصة لسلوكات الأطفال التوحديين ، وعلى كيف يمكن لتلك التأثيرات أن تؤدى إلى استمرارية سلوك معين ، فالتعزيز التفاضلى لبعض صور السلوك البدائى التى يقوم بها الطفل التوحدى من جانب الآباء هى التى تحقق لمثل تلك السلوكات استمراريته وتقويمها ، بل إننا نستطيع أن نفسر كثيرا من صور السلوك المتخلف والاجتماعى من جانب هؤلاء الأطفال فى ضوء جداول التعزيز التى يستجيب بها الآباء لمثل تلك السلوكات ؛ فاستجابة الغضب يمكن أن تكون استجابة غير شرطية ولكنها تتوقف من حيث استمرارها أو انطفائها فى المستقبل على ما يحدث من ردود أفعال الآباء نحو الطفل فى مثل هذه المواقف .

كما أن من بين التفسيرات التى قدمها " فورستر " لتفسير السلوكات المتخلفة للأطفال التوحديين عدم وجود آثار اجتماعية مع التدخل النسبى من



جانب الوالدين ، إضافة إلى عدم توافر نظام مستمر من التعزيزات التي تؤدي إلى استمرارية في السلوك .

كل ذلك يمكن أن يكون من أسباب سلوك هؤلاء الأطفال ، وهو سلوك بطبيعته غير ذي تأثير في البيئة المادية من حول الطفل ، ومن ثم فهو سلوك لا تعززه نتائجه .

إن شيوع السلوك غير اللفظي لدى بعض الأطفال التوحديين قد يكون مرجعه إلى أساليب السلوك التي يتدخل بها الآباء مع الأبناء ، كما أن الفشل في إيجاد معززات شرطية معقدة يؤدي إلى ضيق ومحدودية في سلوك الطفل التوحدي ، وكما نعلم فإن حصيلة سلوك الطفل العادي تنمو وترتقى من خلال تتابع سلسلة من السلوكات المترابطة التي تتشكل عادة في ضوء توافر مجموعة من المعززات الشرطية .

إن أى قصور حاد في أداء الطفل عموماً يؤدي إلى عجز في عمليات نمو الشخصية ، فالمستوى المتدنى من الأداء أو السلوك يحول دون اتساع أفق الشخصية أو ثراء في خبرات الطفل ، وهذا بدوره يجعل سلوك الطفل عاجزاً عن التأثير في بيئته ، ولا يسمح لسلوكه بأن يؤدي دوراً تحكيمياً في مثيرات البيئة ، وتكون المحصلة أن ذلك كله يحول دون تحقيق تعزيز لسلوكات جديدة .

ومن المواقف الخاصة التي تحول دون نمو شخصية الطفل التوحدي أن حدوث أى تحولات مفاجئة في المواقف أو الأشخاص المرتبطة يؤدي بدوره إلى عجز أو تعطل كامل في ارتقاء شخصية الطفل .

ومن الحقائق المعروفة أنه كلما اتسع مدى السلوك كلما تعاظمت الرغبة في أداء سلوك جديد ، وكلما زادت احتمالية أن تؤدي نتائج هذا السلوك لزيادة

القابلية لتعزيزه ؛ أى أنه كلما اتسعت خبرات الطفل وتفاعلاته الاجتماعية كلما امتد سلوكه إلى نطاقات جديدة .

أما بالنسبة للطفل التوحدى فإن تعرضه المفاجئ لأى بيئة جديدة - وفى نطاق خبراته السلوكية المحدودة ، فإن ذلك يعرضه إلى اضطرابات حادة فى شخصيته .

إن التحليل السابق للصعوبات التى تكتنف عمليات نمو الطفل التوحدى تظهر أن الأطفال التوحدين يبدو كما لو كانوا فى معظم الحالات هم الطفل الأول فى الميلاد ، أو كأنهم أطفال لهم أقارب ولكن لا يمدونهم بنماذج سلوكية فعالة ، أو كأنهم ينتمون إلى أسر يسود فيها جو العزلة المادية أو الاجتماعية .

ويضيف " رسكن - ١٩٦٤ " عدة عوامل إضافية أخرى يراها ذات تأثير خاص فى إحداث السلوك التوحدى ، ومنها أن :

كثرا من الأطفال التوحدين قد نشأوا مع آباء لديهم قصور فى الجوانب الانفعالية والعاطفية ، وأنهم بذلك قد تركوا تأثيرات مرضية على أطفالهم .

بعض الأطفال قد نشأوا فى مستشفيات أو ملاجئ حيث التواصل الأمومى كان نادراً .

هناك أحداث خاصة فى حياة بعض هؤلاء الأطفال كانت سببا فى مرضهم ، ومن ثم أدت إلى ظهور اضطرابات ذات الأثر عليهم .

إن بعض الأطفال التوحدين غير طبيعيين منذ لحظة الميلاد مما يشير إلى أن التوحدية قد تكون ظاهرة ولادية أو فطرية .

إن حدوث التوحدية يرتبط بفروق جنسية واضحة ، فالنسبة بين البنين والبنات في الحدث هي نسبة ( ٤-٣ ) ، وهذا يتسق مع ما هو معروف بأن البنين أكثر استهدافا للإصابات العضوية .

### تشخيص التوحدية :

إن مشكلة التباين في تشخيص حالات توحّد الطفولة أصبح مشكلة حادة، وتم التركيز عليها خاصة بعد نشر عدة مقالات بهذا الخصوص ، كان من أهمها دراسة " يانت - ١٩٦٠ " التي ذكرت بوضوح مجموعة من المعايير المحددة التي استخدمت في تشخيص وتصنيف مجموعة من حالات الأطفال التوحديين ، ومنها المعايير الثلاثة التالية :

- اضطرابات حادة في الشخصية تتميز بانطواء شديد على الذات، وانفصال تام عن الناس .
- دلائل تشير أن هذه الظاهرة تحدث خلال السنتين الأوليين من الحياة .
- عدم وجود مظاهر لتأخر حاد في النمو الحركي ، والتي ترتبط عادة بجوانب من القصور العقلي الحاد ، كما أن " يانت " قد قدم بيانات ومعلومات عن الحالات التي قام بدراستها ، وأشار إلى أنها تختلف في معظمها - وبشكل حاد - عن تلك الحالات التي قدمها " كانر " قبل ذلك .

ويشير " ريملانر - ١٩٦٤ " إلى ثلاثة أسباب رئيسة لتفسير التعارض القائم في تشخيص كلا من التوحدية وذهان الطفولة هي :

- ١- السندرة الشديدة في حالات التوحدية التي جعلت الأمر أحيانا يبدو مستحيلا بالنسبة لكثير من الدارسين في الحصول على حالات واضحة ومحددة .

٢- شيوخ الاعتقاد بأن معظم اضطرابات الطفولة هي اضطرابات نفسية المنشأ .

٣- أن الواقع الحالي في عمليات تصنيف الأمراض النفسية وتشخيصها لا يزال واقعا غير مرضي .

ومثالا لمشكلة تشخيص التوحدية ، فقد اقترح " سبنسر - ١٩٦٠ " قائمة لأهم أعراض التوحدية في الطفولة المبكرة ، وهي قائمة مكونة من ٣٠ عبارة تم تحديدها من خلال مراجعة كاملة لكل الدراسات التي أجريت قبل ذلك ، وقد قام بتطبيق عناصر هذه القائمة على ( ٥ ) حالات من الحالات التوحدية منيا ( ٤ ) حالات حددت تحديدا نهائيا وواضحا على أنها كذلك ، وقد حصلت الحالات الأربع على الدرجات التالية في ضوء قائمة الأعراض التي طبقها ( ٢٤ ) درجة ، ( ٢٧ ) درجة ، ٢٠ درجة ، ١٥ درجة ، للحالات الأربع على التوالي ، أما الحالة الخامسة ورغم أنها تحمل ظاهريا تشابها في الأعراض مع الحالات الأخرى فقد حصلت على ( ٥ ) درجات من قائمة الأعراض المرضية.

وعلى الرغم من أن تلك القائمة تعتبر أداة سهلة ومفيدة في التشخيص إلا أن تطبيقها مازال صعبا لأسباب عديدة لعل من بينها صعوبة ترتبط بالحاجة إلى وجود معايير خاصة للأطفال الذين لا يتكلمون حيث يصبح التشخيص في مثل هذه الحالات غاية في الصعوبة .

ويرى " ريملانند - ١٩٦٤ " أن إيجاد أساليب دقيقة لتناول مثل تلك الصعوبات لا يمكن التغلب عليه إلا في ضوء توافر كميات كافية من البيانات الدقيقة والمعيارية عن هؤلاء الأطفال .

ويمثل الأطفال التوحديون مجتمعا غير متجانس تتفاوت فيه أنواع السلوكات والقدرات التى يؤدونها فى المواقف المختلفة ، وسنتناول بعض جوانب سلوكات هؤلاء الأطفال فيما يلى :

**النمو الحركى :**

يصل الطفل التوحدى إلى مستوى من النمو الحركى يكاد يماثل الطفل العادى من نفس سنه مع وجود تأخر بسيط فى معدل النمو ، ومع هذا فإن هناك بعض جوانب النمو الحركى تبدو غير عادية ؛ فالأطفال التوحدين لهم مثلا طريقة خاصة فى الوقوف ، فهم فى معظم الأحيان يقفون ورءوسهم منحنية ، كما لو كانوا يحملقون تحت أقدامهم ، كما أن أذرعهم ملتفة على بعضها حتى الكوع ، وعندما يتحركون فإن كثيرا منهم لا يحرك ذراعيه إلى جانبه ، وفى معظم الأحيان فإن الأطفال التوحدين يكررون حركات معينة مرات ومرات ؛ فهم مثلا يضربون الأرض بأقدامهم إلى الأمام أو إلى الخلف بشكل متكرر، وفى بعض الأحيان قد يحركون أيديهم وأرجلهم فى شكل حركة الطائر ، وتلك السلوكات المتكررة ترتبط بأوقات يكونون فيها مبتهجين ، أو مستغرقين فى بعض الخبرات الحسية مثل مشاهدة مصدر للنور يضاء ويطفأ .

وفى أوقات أخرى يبدو الأطفال التوحديون فى موقف استنارة ذاتية لأنفسهم ؛ فهم مثلا يحاولون وضع أيديهم حول أو أمام أعينهم ، ويدورون حول أنفسهم لفترات طويلة دون أن يبدو عليهم شعور بالدوار ، بل إن الفترات شديدة الإعاقة منهم قد يصل بهم الأمر إلى إيذاء أنفسهم ، وذلك يمثل قمة الاستنارة الذاتية لديهم .

ويمكن أن نرى صورًا مشابهة لتلك السلوكات لدى الأطفال المعاقين داخل المؤسسات . إن أحد التفسيرات لتلك السلوكات لدى أطفال المؤسسات

الداخلية هو أن تلك السلوكيات المتكررة تمد هؤلاء الأطفال بنوع من الاستثارة غير المتوفرة بالنسبة لهم فى بيئاتهم ، غير أن هذا الأمر لا ينطبق على سلوكيات الأطفال التوحديين ؛ لأنهم فى الغالب يعيشون داخل بيئة مناسبة ومثيرة ، ومع هذا فإنهم لا يستفيدون من تلك الاستثارة الخارجية ، بل قد لا يلاحظونها مفضلين تلك السلوكيات الذاتية التى تحقق لهم تنبيهات خاصة ، وقد يكون ذلك نتيجة لعدم الاستفادة من البيئة أو تمثيلها بطريقة مفيدة ذات معنى. إن تكرار سلوكيات وأنشطة بسيطة ربما تحقق للطفل التوحدى نوعا من الاستثارة التى يستطيع أن يشعر بها .

إن الأطفال العاديين يستطيعون فهم ظروف بيئتهم ، ومن ثم يمكنهم التفاعل معها ، كما أنهم يستفيدون من قدرتهم على التخيل فى اختراع أو تمثيل ألعابا وطرقا من التفاعل مع ما يحيط بهم . إن الأطفال كى يكونوا قادرين على الاستجابة لبيئاتهم بطريقة مفيدة ينبغى أن يكون لديهم القدرة على فهم تلك البيئة، ومن دون هذا الفهم فإنهم يرددون إلى أنفسهم باحثين عن بعض صور بسيطة من السلوكيات الحسية المتكررة .

### النمو الإدراكى :

إن الطفل التوحدى يستجيب لخبراته الحسية بطريقة شاذة غريبة ؛ فهو فى بعض الأحيان يتصرف كما لو لم تكن لديه أية خبرة بالأصوات والأشكال والروائح التى تحيط به ، بل وكأنه لا يشعر بالأشياء التى يلمسها ، فقد لا يستجيب بصوت مرتفع ، كما قد يبدى تجاهلا كاملا لشخص يعرفه جيدا من قبل ، وأيضا قد يبدى لا مبالاة للألم أو للبرد ، بينما فى أوقات أخرى قد تبدو حواسه سليمة لدرجة أنه يشعر بصوت خشخشة فى الأوراق ، وقد يحملق بشكل مقصود إلى مصدر للضوء ، أو إلى مصباح مضاء، أو يقوم بيرم جزء من ورق مكررا ذلك عدة مرات ، أو يخمش سطحا لمنضدة ، ومن بين السلوكيات الغريبة لدى

بعض هؤلاء الأطفال خوفهم الشديد من بعض الأشياء العادية والتي يرونها يومية ويشكل لا يمكن معه تخليصهم من هذا الخوف إلا بإزالة هذا الشيء، بينما من ناحية أخرى قد يبدون سلوكا عاديا لمواقف تمثل تهديدا حقيقيا بالنسبة للطفل العادى .

إن هذه الانشقائية فى الانتباه التى يبديها الطفل التوحدى إزاء أحداث البيئة قد أمكن تأكيدها تجريبيا ؛ حيث قام " كوجال ووليم - ١٩٧٣ " بتدريب أطفال توحديين وأطفال عاديين على اختيار بطاقة من بطاقتين ، وعلى كل بطاقة صورتان لشيئين من الأشياء التى تستخدم فى الحياة اليومية ، وحينما تعلم الأطفال التمييز بين الشكلين المرسومين على كل بطاقة ، قام الباحثان بتقديم بطاقات مفردة تحمل رسما واحدا لشيء واحد ، وقد تبين من هذه التجربة أن الأطفال التوحديين يستجيبون فقط لرسم واحد من الرسوم التى دربوا عليها ، بينما الأطفال العاديون كانوا يستجيبون لكلا الرسمين .

وهناك أدلة على أن حواس الطفل التوحدى ليست متميزة مثل الطفل العادى ، فهو قد يغطى عينيه حين يسمع صوتا لا يحب أن يسمعه ، وكأنه يسمع بعينه .

كيف يمكن تفسير مثل تلك السلوكات ؟

إن كثيرا من السلوكات تبدو جذابة للطفل التوحدى هى مجرد سلوكات متكررة مثل : الحملقة إلى بقعة على الحائط ، أو تحريك أصابعه أمام عينه بشكل متكرر، أو النقر على سطح ، فالكثير من الأشياء التى يتجاهلها ينقصها المعنى بالنسبة له ، ومن المعروف ان معانى الأشياء تشتق من الخبرات السابقة، وتستخدم فى المواقف الحاضرة ؛ ولذا فإن الطفل التوحدى يتصرف غالبا بشكل يتضح فيه أنه لا يستطيع الربط بين خبراته الماضية والحاضرة فهو فى بعض المواقف يبدو أنه لا يعى أى معنى للأشياء اليومية ، وبالرغم من تلك

الملاحظات فإنه فى مناسبات أخرى قد نجد الأطفال التوحديين يتعرفون على الأشياء اليومية ،وتصبح ذات معنى بالنسبة لهم ؛ فمثلا قد يستجيبون بشكل مناسب إلى الأكواب والملاعق والكراسى والأبواب ، كما أنهم يستطيعون أيضا أن يتعلموا بعض الأماكن التى تحفظ فيها الأشياء مثل : أين يوضع البسكويت ؟ وأين تعلق المعاطف ؟ وكيف يتحركون من مكان إلى آخر ؟ كما أن هناك ما يشير إلى أنهم يتعرفون على الأشخاص الذين يعيشونهم .

إلا أن استخلاص بعض المعانى من الأصوات يبدو أمرا صعبا بالنسبة لهم ، وإن كان بعضهم - وخاصة الذين اكتسبوا القدرة على الكلام - يمكنهم أن يستخلصوا معانى الأصوات ، غير أنهم يواجهون صعوبة فى استخدام اللغة التى ينطقونها بطريقة مرنة، وبشكل مبتكر .

وهكذا فإنه فى بعض الحالات يبدو الطفل التوحدى قادرا على أن يستخلص بعض المعانى والدلالات العقلية من خبراته الحسية ، وإن كان فى مواقف أخرى كثيرة يبدو سلوكه مجرد انعكاس لاستجاباته الحسية فقط .

ومنذ قديم " كانر " ملاحظاته الأصلية بشأن الأطفال التوحديين فإنه قد أشار إلى أن هناك جوانب تميز خاصة بهؤلاء الأطفال على الأقل بالنسبة لبقية السلوكيات الأخرى ،ومن بين تلك النقاط التى تعكس تميزهم فى مهاراتهم البصرية والمكانية ما يقرره " كانر " من أن جميع الأطفال قد أدوا أداء جيدا على لوحة سيجان ، وأن أداءهم على بعض عناصر اختبارات الذكاء التى تحتاج إلى مهارات بصرية ومكانية كان أفضل ، مقارنة بأدائهم على عناصر تتطلب أنواعا مختلفة من المهارات .

كما أشارت دراسات " روتر - ١٩٦٩ " " فيرت - ١٩٨٣ " إلى أن الأطفال التوحديين قد تم مقارنةهم بأطفال عاديين وأطفال متخلفين عقليا من نفس عمرهم



العقلى ، وقد تبين أن قدرتهم على أن يحددوا شكلا متضمنا فى رسم معين كانت عالية ، وكانوا أكثر دقة ، وأسرع من أقرانهم ، بل إن وقتهم فى الأداء كان مقاربا لما هو متوقع من الأطفال العاديين من نفس عمرهم الزمنى ، وقد فسر الباحثون تميز هؤلاء الأطفال فى إيجاد الأشكال المتضمنة بأن الصور التى تحتوى على تلك الأشكال لا تحمل معنى بالنسبة لهم ، بعكس الحال بالنسبة للأطفال الآخرين ، فالصور تحمل بعض المعنى بالنسبة للأطفال التوحيديين بما يجعلهم قادرين على تسميتها ، ولكن هذا المعنى المحدد ليس له نفس الدلالة التى لدى الأطفال العاديين ، وبالمثل فإن أداء الأطفال التوحيديين على لوحة الأشكال قد يكون متميزا ؛ لأنهم يستطيعون التركيز على التفاصيل الدقيقة بكل شكل .

كما أن بعض الأطفال التوحيديين يبدون تميزا فى التعامل مع الألغاز فهم يستطيعون أن يضعوا أجزاء اللغز إلى جانب بعضها البعض ، ويكررون وضع القطع عشرات ومئات بطريقة آلية وغير مبتكرة ، إنهم بذلك قد لا ينتبهون للصورة التى يريدون تشكيلها ، كما أنهم لا يبدون اهتماما بالشكل الكلى للغز من أجل خلق صورة ، ولكنه مجرد نوع من رص كل الأجزاء التى بين أيديهم ؛ ولذا نجدهم فى بعض الأحيان يبدون تفاعلا جيدا مع الألعاب التى تتكون من عدة أجزاء ، ولكن ليست غايتهم توظيف تلك الأجزاء فى اللعب ؛ لأن ذلك لا يمثل مصدر اهتمامهم أو متعتهم؛ ولكن الأمر لا يتجاوز وضع هذه الأجزاء إلى جانب بعضها .

إن تلك النتائج تصبح مفهومة ومنطقية من خلال ما يواجهه الأطفال التوحيديون من صعوبات فى استخلاص معانٍ من الأشياء التى يقومون بتركيبها كشئى يمثل العالم الخارجى لأنهم ليسوا مهتمين بالمعنى ، أو بما يمثله الشئ بالنسبة لهم .

وبالإضافة إلى مهاراتهم البصرية والمكانية ؛ فإنهم أيضا يجيدون تذكر مواقع الأشياء ولعل قدرتهم فى حل الألغاز والألعاب المركبة تعكس هذه القدرة، فالطفل قادر على تذكر موضع كل قطعة إلا أن عملية تركيب الشيء تصبح مجرد عملا تكراريا .

وهناك تفسير آخر يرى أنهم يستمتعون بتجميع وترتيب الأشياء بشكل منظم ، وأن القيام بوضع قطع الألغاز بشكل منظم من أجل استكمال حلها هو الذى يجذبهم إلى هذا النوع من السلوك ، فهم يضعون الأجزاء إلى جانب بعضها لإيجاد نمط من النظام الناتج عن ترتيب تلك القطع ، وهكذا فهم يضعون جميع الأجزاء بشكل يحقق النظام الذى ينشدونه أكثر من رغبتهم فى إنشاء شكل ذى معنى .

ومن الملاحظات الأخرى بشأن قدراتهم البصرية والمكانية أن الطفل التوحدى لديه إحساس أقل بالبيئة من الطفل غير التوحدى ، ورغم ذلك نجده قادرا على أن يلاحظ شيئا دقيقا على سجادة ، وقادرا على التقاطه ، بينما يعجز الطفل العادى أن يلحظ ذلك الشيء ، وربما يكون ذلك بسبب أنه لا يشغل نفسه بالشكل العام للسجادة ؛ ولذا نجد هؤلاء الأطفال يمضون فترات طويلة فى وضع أشياء فى تنظيم معين ، كما أنهم يلاحظون أبسط تغيير يطرأ على نظام الأشياء التى يألّفونها ، بل إنهم يبدون حساسية عالية لتنظيم الأشياء مكانيا ، ويبدو الأمر كما لو كانوا يجمعون الأشياء ويرتبونها فقط من أجل تحقيق الاستثارة الذاتية التى يحققونها من تنظيم تلك الأشياء ؛ أى أنهم هم وليست الأشياء فى حد ذاتها أو طريقة تنظيمها هو الهدف المطلوب بالنسبة لهم .

والمثال الواضح الذى يعكس الحساسية المفرطة لدى الطفل التوحدى للتغيرات المكانية فى الأشياء التى تحيط به هو تميز بعضهم بقدرة غير عادية

على الرسم ؛ ففي دراسة عن الأطفال التوحديين وجد " سلف - ١٩٨٣ " أن بعض هؤلاء الأطفال قد أنتجوا صورا أكثر قربا في درجة المطابقة للصورة الحقيقة من الصور التي رسمها الأطفال العاديون ، وفي بعض الحالات كانت صورهم مكافئة للمحترفين ، إن تلك الرسوم تعكس حقيقة أن الأطفال التوحديين لا يقيمون رسومهم على ما يعرفونه بل أنهم يطبعون الخطوط والتفاصيل التي يرونها أمامهم ، أو التي يتذكرونها ، إنهم بهذه الطريقة ينتجون أشكالا أكثر دقة وأكثر تمثيلا مما يرسمه الطفل العادي ؛ لأن الطفل العادي يغمس في فهم واستيعاب ما يحاول أن يستحضره فمثلا نجد أن الطفل العادي يمكن أن يرسم أربعة أرجل للقطعة ؛ لأنه يعرف أن لها أربعة أرجل ، بينما الطفل التوحدي ربما يرسم لها رجلا واحدة ؛ لأن هناك ثلاثة أرجل ليست في مدى الرؤية ؛ أي أن الطفل التوحدي يرسم ما يراه ، وليس مشغولا باستحضار ما يعرفه عن الشيء الذي يقوم بالتعامل معه ، علما بأن قلة منهم هم الذين يفعلون ذلك ، ومع هذا فإن الأمر المحقق أن قلة منهم يختلفون في جانب مهم ، وهو أنهم يتمتعون بذاكرة بصرية غير عادية ، وإذا وضعنا ذلك إلى جانب عجزهم عن تفسير ما يرونه ، فقد يكون ذلك سببا كافيا يفسر لنا رسومهم غير العادية .

### النمو المعرفي

على الرغم من العبارة الثابتة في أذهان البعض والتي أطلقها " كانر " بأن القدرة المعرفية لهؤلاء الأطفال تعتبر عادية إلا أن هناك الآن أدلة واضحة على أن معظم هؤلاء الأطفال ليسوا كذلك ، حيث إن هناك اتفاقا على أن أكثر من نصف هؤلاء الأطفال ليسوا كذلك ؛ حيث إن هنا اتفاقا على أن على أن أكثر من نصف هؤلاء الأطفال تقل نسبة ذكائهم عن ٥٠ درجة ، وأن ١٩% منهم لا تزيد نسبة ذكائهم اللفظية عن ٧٠ درجة كما يذكر " ديمير ١٩٧٤ " أن

نسبة ٩٤% من ١٥٥ طفلا توحديًا تقع نسبة ذكائهم دون ٦٠ درجة ، وأن ثلاثة أرباع هذه المجموعة تقع نسبة ذكائهم دون ٥٠ درجة ، كما أن نسب ذكائهم اللفظي تكون عادة أدنى من نسب ذكائهم الأدائي .

وفي دراسة " روتر - ١٩٨٣ " يشير إلى عدد من الدراسات التي تجمع على أن كثيرا من الأطفال التوحيديين لديهم قصورا معرفيا يصعب تفسيره في ضوء ما أطلق عليه " كانر " سلوك العزلة الاجتماعية باعتبارها السبب لدى جميع الأطفال التوحيديين لأن يكونوا معاقين عقليا ، بينما الواقع ليس كذلك .

ولذا يرى " روتر " أن نسب ذكاء الأطفال التوحيديين تعتبر ثابتة بشكل مناسب ، وأنها ترتبط مع تحصيلهم الدراسي بشكل معقول ، كما يذكر أنه حين أصبح هؤلاء الأطفال أكثر اجتماعية سواء نتيجة لاستخدام بعض أساليب التدخل، أو أى شكل آخر فإن نسب ذكائهم لم يطرأ عليها تغيير ملحوظ .

ويذكر " كوتر " أن هناك تفسيرين محتملين للأداء المنخفض على اختبارات الذكاء بالنسبة لهؤلاء الأطفال :

التفسير الأول : هو أن الطفل التوحدي ربما يعرف الإجابة ، ولكنه يتعمد تجنب إعطائها أما التفسير الثاني : فهو أن أداء الطفل التوحدي يكون عادة محكوما بطبيعة موقف الاختبار ، وليس بصعوبة الواجب نفسه ؛ ففي إحدى دراساته وجد أنه كلما زادت عناصر موقف الاختبار تعقيدا زاد إخفاق الأطفال ، والعكس صحيح ، على الرغم من أن محتوى الاختبار بقى ثابتا .

وأخيرا فإنه يصل إلى دليل بأن كثيرا من الأطفال التوحيديين يبدون نوبات صرعية حين يصلون إلى سن المراهقة ، وأن ذلك يشيع أكثر بين الفئات الأقل ذكاء أكثر من ذوى الذكاء العادى ، وفي المقابل فإن الأطفال المتخلفين عقليا أكثر ميلا لأن تكون لديهم تلك النوبات منذ الطفولة المبكرة .

وفى نفس الدراسة يرى " كوتر " أن هذا القصور المعرفى هو مصدر التعويق الأساسى لدى هؤلاء الأطفال وهو المسئول عن جميع المشكلات الأخرى التى تميز الأطفال التوحديين ، ويعتمد فى تفسيره على أولهما : احتمالية أن مشكلات أى طفل توحدى تزيد كلما انخفضت نسبة الذكاء ، ثانيهما: أن ذكاء الطفل التوحدى أفضل مؤثر على نموه النفسى ، الاجتماعى من أى مؤثر سلوكى آخر ، ويرى أنه على الرغم من القصور المعرفى يعتبر أساس التوحدية إلا أن ذلك يحدث بشكل نوعى ، فالتوحدية ليست مجرد نتيجة مباشرة لأى درجة من القصور المعرفى ، وأنه على الرغم من شيوع التوحدية بين الأطفال منخفضي الذكاء غير أن الأمر قد لا يكون كذلك إذا كان الطفل لديه بعض الإعاقات الأخرى مثل : متلازمة " داون " وأخيرا فإن تخطيط الذكاء للأطفال التوحديين يبدو مختلفا ؛ فهم يؤدون أفضل على الأسئلة غير اللفظية ، كما أن قدرتهم البصرية المكانية تعتبر متميزة ، بالإضافة إلى أن ذاكرتهم الصماء تبدو غير عادية ، ويبدو أن أسوأ جوانب الأداء لديهم هو ما يتصل باللغة والمهارات المتصلة باستعمالها .

كما أن واحدة من الصعوبات الخاصة بهؤلاء الأطفال هى محاولة البعض تكليفهم بواجبات تتجاوز خبراتهم الفعلية ، أو محاولة الاستفادة بالخبرات السابقة للاستفادة بها فى فهم الموقف الحالى ، ثم الانطلاق منها إلى المستقبل .

إنهم أفراد مرتبطون بالحاضر فقط ، ويبدون عاجزين عن التخيل الذى يمكن أن يأخذهم بعيدا عن الآن ، وغير قادرين على تخيل ماذا سيكون ؟

وحيث إن غالبية الأطفال التوحديين يصعب قبل سن سنتين أو ثلاث سنوات فإن القدر الذى نعرفه بشأن نموهم يعتبر محدودا نسبيا ، ومن المعروف أن سن سنتين إلى ثلاث سنوات هو الفترة التى تتزايد فيها فهم أو معرفة الطفل

العادى بالعالم من حوله ، ومع هذا فقد حاول " روزنتشال :١٩٨٠" أن يبحث بعض جوانب هذه الفترة من خلال دراسة لأربعة عشر طفلا قام بتصويرهم فى سلوكياتهم المنزلية العادية من بينهم تسعة أطفال شُخصوا على أنهم أطفال توحديين ، وقام بإجراء مقارنة لسلوكهم مع أفلام الأطفال العاديين ، وقد تم فحص تلك الأفلام فى ضوء مبادئ نظرية " بياجيه " فيما يتعلق بمرحلة " النمو الحس/حركى " ولا شك أن أهم إنجاز يتحقق لطفل فى تلك المرحلة هو أن يصبح قادرا على الفصل بين ذاته وبين الأشياء الخارجية وفقا لمبادئ نظرية بياجيه ، فإن هذا الفهم يتحقق لدى الطفل العادى فيما بين ١٨ إلى ٢٤ شهرا .

وقد وجد أن طفلا واحدا فى دراسة " روزنتشال "هو الذى أظهر السلوكات التى تميز نهاية فترة النمو الحس حركى ، وأن ذلك قد تحقق حينما أصبح عمر الطفل ٢٩ شهرا .

أما سلوك الغالبية فإنه قد تميز بخصائص بدايات النمو لهذه الفترة ، والمثال على ذلك سلوك الطفل لإيجاد شىء مختف كان الطفل قد شاهده من قبل .

ومن بين التفسيرات لتلك النتائج أن الأطفال التوحديين يتأخرون فى نموهم بالنسبة لمختلف مراحل أعمارهم عن أقرانهم العاديين ، على الرغم من أنه بالنسبة لنتائج تلك الدراسة ليس واضحا ما إذا كان هؤلاء الأطفال قد حققوا الوصول إلى فهم الأشياء بنفس مستوى أقرانهم العاديين ، وربما يكون نمو الأطفال التوحديين فى السنة الأولى متأخرا ، ولكنه ليس مختلفا عن سلوك الأطفال العاديين ، إلا أن هناك كثيرا من الأدلة على أن الأطفال التوحديين الأكبر سنا لديهم طرقا غريبة أو شاذة فى التعامل مع الأشياء ، فهم يجمعون ويرتبون الأشياء التى تقابلهم بطريقة بالغة الترتيب والتنظيم ، ويشكلون

مجموعات من الأشياء مثل : الأحجار ، والأوراق . ويصبحون على درجة عالية من الانزعاج إذا طرأ على هذا التنظيم أى نوع من التغيير ، وليس هناك أسباب منطقية ظاهرة لتجميع تلك الأشياء وتنظيمها . إنهم يميلون فقط لتناول الأشياء بعناية ، وينظرون إليها عن كثب ويديرونها أمام أعينهم ، وقد يشتمونها بأنوفهم ، وكان الأمر الحيوى هنا هو ما يتحقق عن تلك الأفعال من استثارة ذاتية لهم أكثر مما تعنيه تلك الأشياء ، أو فى ماذا يمكن أن تستخدم ، إنهم يركزون اهتمامهم جزئيا على الشيء أو اللعبة ، فالطفل التوحدى ربما يمسك بلعبة كسيارة مثلا ويمضى وقتا فى ملاحظة عجالاتها وهى تدور دورانا مستمرا بلا نهاية ، إن هذا السلوك يبدو متسقا مع اهتمامه الواضح بالاستثارة أكثر من اهتمامه بما تعنيه هذه اللعبة ، إنه يركز على جزء واحد من اللعبة ، وهذا يوضح أنه ليس مهتما بالسيارة أو بعجالاتها كجزء فيها ، بل إنه فقط مهتم بحركة دوران هذه العجلات مرات ومرات .

وعلى الرغم من أن هناك بعض الباحثين قد أشار إلى أن الأطفال التوحدين فى سن ٥ إلى ١٢ سنة يمكن أن يؤدوا ألعابا تخيلية مستخدمين بعض الأشياء اليومية ، إلا أن كثيرا من الدلائل تشير إلى أن الطفل التوحدى نادرا ما يستطيع أن يستخدم أشياء غير حقيقة فلا لعب تخيلى أو تلقائى ؛ لأن ذلك يتطلب من الطفل أن يكون لديه القدرة على أن يستعمل الأشياء كبدائل لشيء آخر غير موجود ، ومع هذا يتضح من بعض الدراسات أن بعض الأطفال التوحدين لديهم قدرة على أداء بعض صور الألعاب التخيلية ، فهم مثلا يستطيعون أن ينظموا عرائسهم ودُمَاهم فى طابور واحد وكأنهم أطفال فى مدرسة غير أنه فى أغلب الأحيان ، وفى مثل تلك السلوكات يردد الطفل التوحدى الأشياء حرفيا كما قيلت له ؛ أى أنه لا يسير بعيدا عن حدود خبرته الواقعية ، بل ويستخدم نفس الكلمات مع ألعابه ، كما لو أنها قد قيلت له من قبل ، ومعروف أن الأطفال العاديين

يبدعون كثيرًا خاصة في مواقف اللعب التي يعيشونها ، ويعكسون قدرة على مزج الخبرات المختلفة ودمجها في ألعابهم بطريقة مبتكرة ، أما الطفل التوحدي فهو لا يستطيع أن يجدد في ألعابه ، أو أن يتكلم إلى الأشياء التي يلعب بها بل ولا يستطيع حتى أن يتكلم عن الأشياء التي حدثت له ، وحين يتحدث عن خبراته نحو تلك الأشياء فإن عباراته تأتي منفصلة أو مكررة كما سمعها في الماضي ، ولا يستطيع أن يجرى حوارًا بشأن ما مر به من مواقف أو أحداث ، وهكذا يبدو من سلوكه أنه لا يستوعب الخبرات بنفس طريقة الطفل العادي .

إن من بين أهم الخصائص المتداولة عن الطفل التوحدي الانسحاب من المواقف الاجتماعية ، ومع هذا يبدو أن هذا الأمر لا ينطبق على جميع الحالات، وعلى وجه التخصيص فإن الأطفال التوحديين الأكثر قدرة قد يقتربون من الأشخاص المألوفين لديهم ، وقد يحبون الألعاب التي تتطلب اتصالًا بدنيًا، بل إن بعضهم قد يجلس في حجر شخص مألوف لديه ويستمتع بمعاينته واحتضانه له، أما الأطفال الأكثر قدرة فقد يعانون قلقًا حادًا إذا غاب عن حياتهم شخص كبير مألوف لديهم .

هذا معناه أن نقص العلاقات الاجتماعية مع الآخرين ليس أمرًا مطلقًا بالنسبة لجميع حالات الأطفال التوحديين ، غير أن دراسة أجراها " لانج دول - ١٩٧٨ " توضح أن الطريقة التي يستجيب بها الطفل التوحدي للأشخاص المألوفين لديه تختلف عن الطريقة التي يستجيب بها الطفل العادي ، فقد قارن " لانج دول " قدرة الأطفال التوحديين والأطفال العاديين من نفس العمر العقلي ، ومن نفس العمر الزمني في سلوك التعرف على صور فوتوغرافية لأقرانهم ، وكان الأفراد التوحديون قادرين نسبيًا على أداء هذا السلوك عندما بلغ متوسط نسب ذكائهم مستوى ٦٠ درجة ، كما كان لديهم قدرًا من اللغة يسمح بالتفاهم والاستجابة ، وقد كان هناك طرقًا متنوعة تم من خلالها عرض تلك الصور



فكانت تعرض مقلوبة ، أو يعرض الأنف فقط أو العيون فقط ، أو الفم والذقن ، أو العيون والأنف ، أو الحواجب والجزء الأعلى، أو العيون والجزء الأعلى ، وأخيرا تعرض الصورة بكاملها فى وضعها الصحيح ، وقد أظهرت النتائج أن الأطفال العاديين كانوا أكثر دقة فى التعرف حينما عرضت ملامح الأجزاء العليا من الوجه أكثر من الملامح السفلى .

أما الأطفال المتخلفين عقليا فكانوا تقريبا متشابهين مع العاديين ، بينما أبدى الأطفال التوحديين أداء أفضل حين عرضت عليهم الأجزاء الدنيا من الوجه ، والنتيجة الغريبة الأخرى فى هذه الدراسة هو أن الأطفال التوحديين الأكبر سنا كانوا أكثر دقة فى التعرف على الصور من أقرانهم العاديين حينما كان يتم عرض الصور بطريقة مقلوبة وتظهر هذه الدراسة أن الأطفال التوحديين يستطيعون التعرف على أشخاص مألوفين لديهم من مجرد رؤية صورهم الفوتوغرافية ، وإن كانت النتائج تشير إلى أن عمليات التعرف لديهم تختلف عن العاديين فالأطفال العاديون يستجيبون للملامح ذات الصلة بجوانب اجتماعية مثل العيون وتوجهات الوجه ، وفى المقابل فإن الأطفال التوحديين لا يعطون تلك الملامح أى خصوصية أو أولوية فى التعرف على الوجوه .

وفى بعض الأحيان قد يبدى الأطفال التوحديين قدرا من الوعى بالآخرين على الرغم من أنهم يسلكون سبلا تختلف عن الأطفال العاديين، فمثلا إذا أراد طفل توحدى أن يفعل شيئا أو أن يحصل على مساعدة والديه مثل فتح قارورة مثلا فإنه يمسك بيدي والده، ثم يضعها عليها دون أن ينظر إلى وجه والده، بل يكتفى فقط بوضع يده على فوهة القارورة هذا يشير إلى أنه يعرف أن والده بل ويديه على وجه التحديد هى التى تستطيع أن تتعامل فى هذا الموقف، وهذا السلوك يختلف عن مسلك الطفل العادى فى مثل هذا الموقف ، ذلك أن الطفل العادى حتى ولو لم يكن لديه الكلمات التى يسأل بها والديه لفتح

القارورة ، فهو يأخذ القارورة إلى والديه ، ثم يضعها في يديه ، وتجرى نظراته بين وجه الوالد وبين القارورة ، بل ربما يحاول هو من جانبه أن يفتحها بنفسه ثم يتبع ذلك بما يشبه الطلب من والده للمساعدة ، ولو من خلال إصدار بعض الأصوات .

والواضح فى هذا الموقف أن كلا من الطفل العادى والتوحدى يعرف أن والديه يمكن أن يقوموا بمعالجة الموقف غير أن التشابه بينهما فى السلوك ينتهى عند هذه المرحلة ذلك أن الطفل التوحدى يستجيب فقط للشئ الذى يستطيع أن يدير سداة القارورة ، وهو هنا (يدى والده ) دون أن يبدو سلوكه ما يوحي بأنه يفهم الموقف ، أما الطفل العادى فإنه على العكس من ذلك يعرف بأن والديه هم الذين يستطيعون التعامل مع الموقف بصرف النظر عن استعمال أيديهم أو أى شئ آخر، ولذا فإن أى طلب للمساعدة ينبغى أن يكون موجها إلى وجوههم وليس إلى أيديهم ، أن هذا يعنى أن الطفل التوحدى لا يبدو أنه يفهم العلاقة بين والده وبقيّة أعضاء الجسم فالأيدي هى التى تقوم بالفعل ؛ ولذا فإن المساعدة يجب أن تكون من اليد.

وعلى الرغم أن الطفل التوحدى قد يدفع والديه لتنفيذ سلوك معين بهذه الطريقة فإنه قد لا يستطيع أن يحاكي هذا السلوك بمفرده ، وغالبا فإن الطريقة الوحيدة لجعل الطفل يتعلم سلوكا جديدا هو أن نحرك جسمه أو بعض أعضاء جسمه لأداء سلوك معين، وحتى عندما يمر الطفل بخبرة أداء السلوك بنفسه فإنه لا يستطيع أن يكرره، أن هذه الصعوبة فى تقليد سلوك الآخرين تعكس عدم قدرة من جانبه على رؤية العالم من منظور آخر غير منظوره الشخصى ويقترح (هيسون \_ ١٩٨٤) أن الأطفال التوحديين ليسوا أقل قدرة من الأطفال المتخلفين عقليا فى هذه النقطة ؛ فقد تبين من إحدى دراساته أن الأطفال التوحديين الذين تقع أعمارهم بين ٩ إلى ١٦ سنة ، ولديهم قدرات لغوية مناسبة

قد استطاعوا أن يؤدوا تجربة خاصة كان من بين واجباتها أن يضع الطفل مكعبا مائلا أو منحرفا بينه وبين المجرب الذى يجلس فى الجانب المقابل له، وقد كانت المكعبات ذات أربعة أوجه بألوان مختلفة ، وكان باستطاعة الطفل أن يرى فقط جانبين لكل مكعب ، وبعد فترة من التدريب أصبح الطفل قادرا على أن يذكر اللون الخاص بكل جانب ، وقد تكون الاختبار من دمية لعروسة توضع فى مواضع مختلفة حول المكعب، ثم يذكر الطفل ماهو اللون الذى تراه العروسة الآن، وفى مرحلة تالية كانت توضع عروسة أخرى ومكعب آخر متماثل وكان على الطفل أن يضع المكعب بحيث ترى العروسة الأخرى نفس اللون الذى تراه العروسة الأولى ؛ أى أن هناك نوعا من التصعيد فى صعوبة الموقف ،وقد تبين أن الأطفال التوحديين كان أداؤهم على نفس مستوى أقرانهم من العاديين، إن نتائج هذه الدراسة تشير إلى أنهم يستطيعون أن يضعوا فى اعتبارهم الرؤية الخاصة للآخرين، كما تشير إلى أنهم يتصرفون فى مواقف ذات طبيعة اجتماعية، وفى دراسة عن الموقف الاجتماعية أجرى (بارون - ١٩٨٥) دراسة عن سلوك الأطفال التوحديين حيث تم تصوير موقف اجتماعى بين دمتين قدمات لأطفال على أن إحداها تسمى "سالى" ، والثانية "آن" ،وقد طلب من سالى أن تضع بلية فى السلة، ثم تغادر المكان تاركة السلة خلفها ،وحينئذ قامت "آن" بنقل البلية إلى الصندوق، وبعد فترة عادت سالى ، وكان السؤال الموجه للأطفال هو أين تستطيع سالى أن تبحث عن البلية ؟ وقد وجد أن نسبة ٨٥% من الأطفال العاديين عمرهم الزمنى حوالى ٣ سنوات ، ونسبة مماثلة من المتخلفين عقليا عمرهم الزمنى من سنة إلى ١٧ سنة ، أجابوا على هذا السؤال إجابة سليمة ، بينما نسبة ٨٠% من الأطفال التوحديين عمرهم الزمنى ٦ إلى ١٧ سنة قد أجابوا إجابة غير سليمة على الرغم من أنهم يستطيعون أن يتذكروا أين وضعت "سالى" البلية أولا ، بل ويعرفون أين توجد فعليا ، وقد فسر الباحث هذه النتيجة بأنها

عجز الطفل التوحدي عن عزو الأسباب إلى الآخرين ، وقد يكون من المثير فعلا تكرار مثل هذه التجربة باستخدام أفراد حقيقيين وليس دمي في موقف الدراسة .

وتقدم هذه الدراسة أدلة بأن الطفل التوحدي يواجه صعوبات في تخيل ماذا سوف تشعر إذا كنت شخصا آخر ؟ ومثالا على ذلك هو عدم قدرته على الاستجابة بشكل مناسب حينما يحدث شيء ما لشخص آخر ، فمثلا قد يرى شخصا يسقط على الأرض ، وربما تكون استجابته الضحك ، وفي الحقيقة فكونه يستجيب بطريقة ما ؛ فهذا معناه أنه يتفهم أن هناك رد فعل متوقع منه ، ولكنه لا يستطيع أن يضع نفسه في موقع الآخر ، أو أن يتخيل مشاعره ، إن القدرة على أخذ وجهة نظر الآخر في الاعتبار هي النقطة الحاسمة في الاستجابة الصحيحة للموقف .

فالطفل الصغير يمكن أن نراه وهو يلاطف طفلا آخر يمر بموقف صعب مثل موقف البكاء ، ذلك لأن الطفل العادي يمكنه أن يفهم ويستخلص من سلوك البكاء معنى خاص ، ثم يستجيب بناء على ذلك ، أما الطفل التوحدي فإنه يجد صعوبة بالغة في وضع نفسه في مكان الشخص الآخر ، وبالتالي في أن يفهم سلوك الآخرين ، وفي تأويل مشاعرهم ، وقد تأكدت هذه الملاحظات من خلال دراسة " هكسن - ١٩٨٦ " ففي إحدى دراساته على ثلاث مجموعات من الأطفال التوحديين والعاديين والمتخلفين عقليا ، تم عرض مجموعة من أفلام الفيديو القصيرة ، والتي تتضمن صوراً لانفعالات ، وبشرا ، وأشياء ، وكان على الأطفال بعد مشاهدتهم لتلك الأفلام أن يزاوجوا بين تلك الصور وبين رسوم تمثل انفعالات وأشخاصا وأشياء ، وقد تبين عدم وجود فروق بين المجموعات الثلاث فيما يتعلق بمزاوجة الأشياء ، بينما كان الأطفال التوحديون أكثر سوءا من أقرانهم في المجموعتين الأخريين حين تعلق الأمر بالبشر

والانفعالات ، إن هذه النتائج تؤكد أن الطفل التوحدي يواجه صعوبات في المواقف التي تتطلب الانتباه إلى بشر .

غير أن هناك بعض الأدلة التي تشير إلى أن الطفل التوحدي قد يكون لديه نوعا من الفهم لنفسه مثل العاديين ، وإن كان ذلك الفهم يأتي في مرحلة متأخرة من العمر ، وقد قام " فيراري-١٩٨٣" بفحص سلوك ١٥ من الأطفال التوحديين أعمارهم بين ٣-١٠ سنوات ، حيث قام بدراسة ردود أفعالهم إزاء رؤيتهم لوجوههم في مرآة بعد وضع بعضا من لون أحمر " روج " على أنوفهم ، وفي حالة وضع الطفل إصبعه على أنفه ، فهو يدرك انعكاس صورته في المرآة ، وقد لوحظ في هذا الموقف أن الأطفال العاديين من سن ٢١ شهرا كانوا يلمسون أنوفهم في التجربة ، كما أنهم من سن سنة كانوا يظهرهم نوعا من الاستجابة المناسبة لبعض المواقف .

بينما وجد الباحث أن ٨ فقط من الأطفال التوحديين قد لمسوا أنوفهم على الرغم من أنه لم تكن هناك فروق في متوسط الأعمار الزمنية بينهم وبين باقي أفراد المجموعة ، كما أن متوسط العمر العقلي لهؤلاء الأطفال الثمانية هو حوالي ٣٨ شهرا ، بينما كان متوسط العمر العقلي للسبعة أطفال الآخرين حوالي ٢٢ شهرا ، كما أن ثلاثة من الأطفال السبعة الذين لم يلمسوا أنوفهم قد قاموا بلمس المرآة ، بينما الأربعة الآخرون تجنبوا مجرد النظر إلى وجوههم في المرآة كلية ، ويفسر الباحث تلك النتائج بأنها قد تقدم دليلا على وجهة النظر التي ترى أن الطفل التوحدي لديه القدرة على الإحساس بنفسه ، وأن النتائج التي تقدمها الاختبارات في هذا الشأن هي في حد ذاتها محل للبحث والتساؤل ، وأن أي قصور لدى الأطفال التوحديين في فهم أنفسهم يمكن أن نفسره في ضوء تأخرهم في النمو .

وهناك تفصيلات أخرى لنفس الظاهرة قدمها " اسبيكر وركس -١٩٨٤" حيث وجدوا أن ٣٦ طفلاً توحدياً من بين ٥٢ طفلاً تقع أعمارهم الزمنية بين ٣-١٣ سنة قد قاموا بلمس مكياج أخضر على وجوههم حينما رأوا أنفسهم في مرآة، وحينما قارن الباحثون بين الأطفال الذين أبدوا تعرفاً بالذين لم يستطيعوا ذلك ، وتبين وجود مجموعة من الفروق حيث كان الأطفال الذين أخفقوا في الاستجابة أكثر ميلاً لعدم النطق ، وتعوزهم لغة التواصل ، أما الأطفال الذين لديهم قدراً من من لغة التواصل حتى ولو كانت في حدودها الدنيا فقد أظهروا نوعاً من التعرف البصري لأنفسهم ، ويشير الباحثون إلى أن التعرف على الذات لا يمكن أن نربطه فقط بالقدرة على التواصل ؛لأن نسبة من الأطفال الصغار البكم قد أبدوا تعرفاً على أنفسهم على الرغم من افتقارهم للغة ، وهي أهم وسيلة للتواصل ، وهذا يشير إلى أن هذه النقطة تتطلب دراسات أخرى ، حتى يتم فحص تلك العلاقة من خلال تفصيلات أبعد .

وقد حلل الباحثان أيضاً التعبيرات على وجوه الأطفال خلال التجربة ، حيث وجدوا أن ثلاثة أطفال فقط قد أبدوا نوعاً من الدهشة حينما وجدوا أنفسهم في هذا المكياج الأخضر ، بينما بقى ٤١ طفلاً من دون أى تعبيرات خاصة ، وهذا يوضح الاختلاف الكامل بينهم وبين الأطفال العاديين في مثل هذه المواقف. إن الفروق النوعية في الاستجابات الخاصة بالأطفال التوحيديين تحتاج إلى دراسات أعمق .

أما فيما يتعلق بالقدرة على التذكر لدى الأطفال التوحيديين فقد لاحظ " كنز " أن لديهم قدرة استثنائية في تذكر أشياء بعينها ، وقد قادته تلك الملاحظة إلى اعتقاد خاص بأن هؤلاء الأطفال لديهم مهارات عالية في جوانب خاصة ، وعلى الرغم من أن وجهة النظر هذه لم تعد صحيحة حتى الآن إلا أن بعض الأطفال التوحيديين يمكنهم أن يتذكروا أجزاء كاملة من محادثات استمعوا إليها ،

وبعضهم قد يحفظ عن ظهر قلب أناشيد مرحلة الحضانة دون لبس أو أخطاء ، والكثير منهم يستطيع أن يلاحظ أدنى تغيرات تطراً على أثاث غرفته مثل تغيير وضع كتاب على رف الكتب ، أو تغيير وضع طفاية السجائر على منضدة ، كما أن ذاكرتهم بالغة الدقة فى تسجيل الخبرات التى تم تخزينها مع استعادتها كما حدثت تماماً ، وهناك ملمح خاص فيما يتعلق بتذكر الأشياء ، وهو أن الأشياء التى يتذكرونها تبدو أشياء غير ذات أهمية وكأنهم فى عملية الاختيار يقومون بانتقاء الأشياء غير المفيدة كى يتذكرونها .

إن ما يبدو مميزاً بين ذاكرة الطفل التوحدى وتلك الخاصة بالطفل العادى هو أن الطفل الأول يستحضر الأشياء إلى الذاكرة دون أدنى تغيير فى ترتيبها ، فالأشياء التى يسمعها والأشياء التى يراها يتذكرها تماماً مثلما حدثت ، أو أنه لا يختار الأشياء التى يقوم بتذكرها ، كما أن كثيراً من الأشياء التى يتذكرها تبدو غير مرتبطة وبلا فائدة له ، إنه يبدو كما لو كان قد تعلم شيئاً من أجل أن يتعلمه ، وليس بسبب ماذا يعنى بالنسبة له ، بينما فى المقابل نجد الطفل العادى قادراً على استظهار قصيدة من سن الحضانة ، ولكن ليس من المتوقع أن يسترجعها حرفياً ؛ لأنه يبدو أكثر ميلاً لفهم المعنى الذى تشير إليه أو تدور حوله ، بل وأكثر ميلاً لأن يحكى ما حدث بكلماته هو الخاصة ، ولوحظ أن الطفل التوحدى يستطيع ذلك ؛ لأنه يتذكر ترتيب الكلمات فقط دون أن يكون واعياً بما تعنيه تلك السلسلة من الكلمات .

إن هذه الآراء قد أيدتها دراسة " فيرس - ١٩٧٦ " حيث وجد أن الطفل العادى بل والمعاق عقلياً أفضل فى تذكر الأشياء ذات المعنى ، والتى لا يحكمها نظام خاص ، وأنه بذلك يختلف عن الطفل التوحدى الذى لا يبدو موفقاً فى تذكر هذه الأنواع من المعلومات .

غير أن هناك وجهة نظر أخرى بشأن قضية المعنى كعامل مساعد على التذكر لدى الأطفال التوحديين فيذكر " دروير - ١٩٧٩ " أن الطفل التوحدي أحيانا يكون لديه القدرة لتوظيف المعنى الذى يساعده على الاستدعاء ، وإن كان بدرجة أقل فاعلية من زميله العادى ، فالأطفال التوحديون الأعلى قدرة يبدون مستوى جيدا فى استدعاء الجمل باعتبار أنها تحمل معنى ، وبناء على تلك الملاحظات فإن الاختلافات النوعية فى عمليات التذكر بين الأطفال التوحديين والعاديين يمكن أن نرجعها إلى الاختلاف فى مستوى النمو وليس إلى غياب المعنى أو عدم غيابه .

وهناك بعد آخر بالنسبة للتذكر لدى الطفل التوحدي وهو أن ما يتذكره يصبح غير قابل للدمج فى خبراته التالية ، وكأن كل ذكرى تبدو منفصلة تماما عن الذكريات الأخرى .

إن واحدة من الخصائص المهمة لذاكرة الطفل العادى تتمثل فى القدرة على تحديث نفسها ، فالطفل العادى قادر على تذكر أحداث معينة ، ذاكرته يمكن أن تصبح مرتبطة مع جوانب تذكر أخرى ؛ أى أن ذاكرته تبقى تستدعى جوانب أخرى كثيرة ، بالمثل فإن حدوث شىء معين لا يمكن أن يفصل ذاكرة الطفل عن كل مسار الخبرات الماضية ، وهذا معناه أن هناك ترابطا بين الجوانب المختلفة لذاكرة الطفل العادى ، أما بالنسبة للطفل التوحدي فإن ذاكرته ليست مرتبة ولا مترابطة بنفس الطريقة ، بل أنها جامدة إلى حد بعيد ، كما لا تستثار إلا فى ظروف خاصة ، ولذا نجد أن قدرته على اللعب التخيلى تبدو محدودة نتيجة لخصوصية ذاكرته .

وعلى سبيل المثال فإن الكوب الحقيقى فى الواقع قد يكون باعثا على استشارة سلوك الشرب ، لكن حينما يبدى آباء الطفل التوحدي أنهم يمسون بكوب



متظاهرين أنهم يشربون منها فإن الطفل لا يرى علاقة بين هذا السلوك وبين ما يتذكره عنه في الواقع ، إن هذا يعنى أن ذاكرته تبدو جامدة لدرجة أنه يعرف أنه يشرب من كوب بعينها فقط ، وعلى هذا فإن المحدودية الشديدة فى مدى التذكر قد تعطى انطبعا سطحيا بأن لديهم تفوقا فى عملية التذكر فهم يتذكرون الأشياء بالضبط كما تحدث ؛ لأنهم يجدون صعوبة فى استخلاص المعانى من تلك الأشياء .

### نمو التواصل

إن غياب الميل للتواصل المفيد مع الآخرين يمثل واحدة من الخصائص المميزة التى حددها " كانر " فى تحديده لشخصية الطفل التوحدى ، ولعل مرجع ذلك أن ما يقرب من ٥٠% من الأطفال التوحيدين ينقصهم استخدام اللغة بشكل فعال ومفيد ، وأنه بالنسبة للأطفال الذين تعلموا الكلام فإن ما يقولونه وكذا الطريقة التى يتكلمون بها تعتبر مختلفة عن لغة الأطفال العاديين ، بل وحتى عن لغة الأطفال الذين لديهم صعوبات خاصة فى اللغة .

وهناك وجهة نظر تعزو التوحدية إلى قصور أساسى فى الجوانب المعرفية ، وخاصة ما يرتبط منها بصعوبات فى مجالات اللغة والمهارات المرتبطة بها ، وبالتأكيد فإن إنجازات اللغة لدى الطفل التوحدى تعتبر مؤشرا جيدا على مدى استعداده للنمو مستقبلا ، وكلما كانت لغة الطفل التوحدى محدودة عند سن خمسة أو ست سنوات كلما أصبح الأمل فى نموه مستقبلا ضعيفا ، وحيث إن كثيرا من الأطفال التوحيدين لا يكتسبون لغة مناسبة ، وأن معرفتنا بشأن التواصل المبكر لدى الأطفال التوحيدين محدودا ، إلا أن هناك بعض الملاحظات المتناثرة بهذا الصدد ، نذكر منها ما أشار إليه " ركس - ١٩٧٥ " بأن أنماط المناغاة كمرحلة من مراحل تعلم اللغة لدى الأطفال تعتبر

غريبة وشاذة لدى الأطفال التوحديين ، وأنهم يعانون صعوبات مبكرة في حياتهم، بل إن البعض منهم الذين لديهم قدرا من اللغة ليسوا ميالين لاستخدامها لأغراض التواصل حيث إنهم يفضلون استخدام أساليب غير اللفظية في التواصل منذ السنوات المبكرة من حياتهم ، ويؤكد ذلك الملاحظات على الأطفال الأكبر سنا ، فإنهم لا يميلون للاتصال مع الآخرين بأسلوب غير لفظي ، ولا يستخدمون الإشارات أو تلميحات الوجه بنفس طريقة الأطفال العاديين ، إن السلوك الاجتماعي لدى الأطفال التوحديين يزداد حين يكونوا بمفردهم ، بينما تزداد سلوكيات التواصل الاجتماعي حين يكون هناك شخص آخر ؛ كوجود المدرس أو الأب في الموقف ، حيث لوحظ زيادة نسبة التلميحات والإشارات الرمزية في التعامل مع الكبار .

وهناك ملاحظة أخرى بشأن الطفل التوحدي وهي عزوفه عن الإشارة إلى الأشياء التي يريدها على الرغم من أنه قد يقود والديه إلى الشيء الذي يرغب فيه ، وهذا يظهر أنه يعرف أن الآخرين يمكن أن يحققوا له ما يريده ، غير أنه يختلف هنا في طريقته عن الطفل العادي؛ لأنه يبدو غير متحمس للتواصل مع والديه.

تتبع كثير من التواصلات المبكرة بين الآباء والأطفال العاديين عن اهتمامات مشتركة في الأشياء التي حولهم ، أن الطفل التوحدي لا يرحب بمشاركة الاهتمامات مع والديه ، فهو لا يتوجه بنظره إلى والديه أثناء تعامله مع لعبة معينة ، ولا يقدم الأشياء إلى والديه ؛ لأنه مهتم بالأشياء والأحداث من أجل الاستثارة المباشرة التي تتحقق له ، ويبدو غير مكترث بالمشاركة مع أي بشر آخرين ، إنه قد لا يعطى انتباها لما يفعله الآخرون ، وإن كانت هناك بعض الآراء التي تشير إلى أن هذا السلوك - عدم الانتباه - يمكن تعديله ؛ حيث يذكر " تيجرمان-١٩٨٤ " أنه قد أجرى دراسة على ٦ أطفال توحديين ، تقع أعمارهم

بين ٤ إلى ٦ سنوات ، وكان على كل طفل أن يجلس فى مواجهة شخص بالغ ، ومع كل منهم مجموعة من الألعاب المتشابهة ، وكان هناك ثلاث أنماط للأداء وهى :

- أن يقوم الشخص البالغ بمحاكاة كل شىء يفعلهُ الطفل بلعبته مباشرة .
- أن يقوم الشخص البالغ بأداء شىء مختلف كى يؤديه الطفل بنفس اللعبة التى بين يديه .
- أن يتعامل مع اللعبة بطريقة لا تحمل أى وجه للتشابه مع ما يفعلهُ الطفل .

وقد لوحظ عند بداية التجربة أن الأطفال قد انصرفوا تماما عن النظر إلى ما يفعلهُ الكبار ، غير أن هذا السلوك قد تغير بعد عدد من الجلسات ؛ خاصة فيما يتعلق بالحالة الأولى والثانية ؛ حيث لوحظ تزايد فى سلوك الانتباه من جانب الأطفال لما يقوم به الكبار ، ولا شك أن هذه النتائج تعتبر مشجعة حيث تظهر أن سلوك ملاحظة الآخرين من جانب الأطفال التوحيديين يمكن تغييره ، غير أن هذا الأمر الذى لم تكشف عنه الدراسة هو إمكانية تعميم هذا السلوك إلى مواقف وحالات أخرى مشابهة .

إن معظم الأطفال التوحيديين يعانون صعوبات حادة فى تعلم اللغة ، وقد وجد " لوتر - ١٩٧٦ " أن نسبة من بين ٣٢ طفلا توحيديا عمرهم الزمنى ٨ إلى ١٠ سنوات كانوا لا يتكلمون ، وأن هؤلاء الأطفال كانت نسبة ذكائهم تقع دون ٥٥ درجة ذكاء ، بينما عشرة من هؤلاء الأطفال كانت لديهم لغة ، ولكنها محدودة تماما ؛ أى مجرد عدة كلمات يستخدمونها إما فى التواصل أو المحادثة ، وهذا معناه وفى ضوء هذه المجموعة أن حوالى ٥٠% من الأطفال التوحيديين لديهم لغة محدودة ، أو أنهم بدون لغة بالمرّة ، أما فيما يتعلق بالنسبة الباقية فقد وجد أنهم يتكلمون بطريقة مختلفة عن لغة الطفل العادى سواء بالنسبة لنوع اللغة التى يقولونها أو بالطريقة التى يستخدمونها فى لغتهم ، ويلاحظ أن البدء بالكلام يبدأ

فى معظم الأحيان متأخرا ، وحينما يبدأ الطفل التوحدى فى الكلام فإنه لا يظهر أى نوع من الحماس أو البهجة التى يظهرها الأطفال العاديون فى مثل هذه الحالة ، والأمر الآخر أن حصيلتهم اللفظية لا تتسع ولا تثرى إلا بقدر محدود ، وأن كثيرا مما يقولونه يتكون من أشياء بلا معنى أو تكرارا لمقاطع سبق الاستماع إليها ، وتسمى هذه الظاهرة بالتكرارية أو الصادية فقد يكرر جميع الجمل والعبارات كما سمعها ، وأحيانا المحادثة بكاملها كما سمعها وبشكل حرفى ، بل أنه قد يكرر انطباعيا الطريقة التى قيلت بها محاكيا نفس اللهجة ونفس التنغيم ، إن هذه الصادية قد لا تحدث بالضرورة مباشرة ، بل قد تتأخر لعدة أيام أو أسابيع ، بل وحتى سنوات ، وقد تحدث بشكل متكرر ، أو مجرد مرة واحدة ، وهذا النطق التكرارى غالبا لا يكون مرتبطا بسلوك يفعله الطفل ، ولكن بالنسبة لعدد من الأطفال التوحدين فإن هذه " الترددية " أو " المصاداه " للكلمات المسموعة تتوازى ومقدار ما يحصلون من لغة ، ولكن بعضهم قد يتقدمون ويتكلمون بشكل تلقائى ، إن هذه التلقائية فى الكلام تعكس صورا من عدم النضوج ، كذلك الذى نراه لدى بعض الأطفال الصغار من العاديين ، غير أن مثل هذه المظاهر من عيوب الكلام تتلاشى لدى الطفل العادى بعد فترة من الزمن ولا تستمر معه كما هو الحال بالنسبة للطفل التوحدى .

ومن بين الأخطاء الشائعة لدى هؤلاء الأطفال الاستخدام الخطأ للضمائر الشخصية فمثلا بدلا من أن يقول الطفل " أنا أحب أن أشرب " يقول " أنت تحب أن تشرب " ، إنهم يستخدمون جملة قد سمعوها من الآخرين ، ثم يستخدمونها دون تغيير استخداما غير مناسب ، فهم ينسبون ضمير المخاطب لأنفسهم فيقولون " أنت " بدلا من " أنا " ؛ لأن الآخرين هكذا يستخدمونها ، كما أنهم يواجهون صعوبات مع الكلمات المتشابهة مثل كلمة " هذا " و " تلك " أو " هنا " و " هناك " و " أنا " و " أنت " ؛ لأن معانى تلك الكلمات تتحدد فى ضوء فهم

الظروف التى استخدمت فيها ، وفى معظم الأحيان فإن فهم الكلمة يشق من موقف الشخص الذى يشارك فى المحادثة .

كما أن الترديدية وحديثهم العفوى يرتبطان بالكلمات التى يتم التركيز عليها فى الجمل ، فهم يحاكون الكلمات المنطوقة من آبائهم حينما يكون الآباء أكثر ميلا للكلام بصوت عالٍ ، ويتجاهلون الكلمات التى لا يتم التركيز عليها مثل حروف الجر والربط غير أن نقص التركيز قد لا يكون هو السبب الوحيد لتركهم بعض الكلمات ؛ بل إن التفسير الأكثر قبولا هو أنهم لا يفهمون المعانى التى تستدعيها تلك الكلمات فى الجملة ، إن كثيرا من المفردات التى يستعملها الأطفال التوحيديون تتكون من أسماء الأشياء والموضوعات التى يستخدمونها ، إنهم يتكلمون عن الأشياء المحسوسة والحقيقة فى محيطهم ، ومثلما يدركون ويفهمون العالم نجد أن لغتهم تركز على جوانب جزئية للبيئة حولهم ، وليس على صياغات تعبر عن مظاهر الترابط بين الأجزاء . إننا نستخدم الضمائر وأدوات الربط عادة ؛ كى نعبر عن العلاقات بين الأشياء المختلفة فمثلا نقول : " إن الإبريق فوق النار " أو " إني أود أن أذهب للمشى ولكن السماء تمطر " ، إن الطفل التوحدى يجد صعوبة فى فهم تلك العلاقات ومن أجل هذا فهو أقل ميلا لاستخدام الكلمات التى تعبر عن تلك العلاقات ، وحتى إذا فعل ذلك فإنها فى أغلب الأحيان تستعمل بطريقة غير صحيحة .

وحيثما يتكلم بشكل عفوى فإنه عادة يضع الكلمات فى جمل غير منظمة ، فهو على سبيل المثال يقول " ضع الكرسى على الكوب " بدلا من أن يقول " ضع الكوب على الكرسى " فهو يخفق فى ترتيب الجملة فى كلمات ذات معنى ، ولعل مرجع ذلك أنه لا يستطيع أن يستخرج معنى من الموقف ، أو ربما يخفق فى تضمين هذا المعنى فى إطار اللغة ، ولذا فهو يكتفى برص الكلمات ذات العلاقة متجاهلا تنظيمها بشكل يؤدي إلى معنى ، وأيضا نجده

يخاط الكلمات المتشابهة النطق ، أو المتشابهة المعنى ، فقد لاحظ " ونج - ١٩٦٩ " أن بعض الأطفال التوحيدين يصفون بعض الأشياء فى ضوء وظائفها واستخدامها ، فنجد الطفل مثلاً يقول : " تمسح الأرض " وهو يعنى بذلك " المساحة " ، وهذا أمر مثير لأن تسمية الأشياء بهذه الطريقة يظهر أن لدى هؤلاء الأطفال بعضاً من الفهم بطبيعة تلك الأشياء ، وهؤلاء الأطفال الذين يسمون الأشياء بهذه الطريقة يبدو أنهم لا يركزون على أجزاء منفصلة من الأشياء ، وإنما يدركون ارتباط الأجزاء بالكل من خلال فهمهم لوظائف هذا الكل ، وربما يفعلون ذلك فى ضوء خاصية " الترددية " أو " المصاداه " ؛ ولذا فإنهم يسمون الأشياء فى ضوء ما يقوله الآخرون حينما يلتقطون " المساحة " ، فمثلاً يقولون دعنا ننظف الأرض . وهناك قلة من هؤلاء الأطفال قد يستطيعون أن يتكلموا بشكل صحيح ، غير أنهم مازالوا معتمدين فى ذلك والى حد بعيد على ترديد العبارات التى سمعوها من الآخرين ، فلغتهم حرفية وينقصها المعنى والاستعارة والدلالة والإشارة ؛ ولذا يبدو حديثهم مسطحاً وعلى وتيرة واحدة ، ويتكلمون عن أشياء محسوسة لا أشياء مجردة ، أو عن أشياء ستحدث فى المستقبل ، والذى يجعل لغتهم مختلفة عن الأطفال العاديين هو غياب أى نوع من الحوار أو المناقشة ، فهم قد يستطيعون الكلام من دون توقف بشأن موضوع ما يثير انتباههم ، ولكن بمجرد أن يطرأ أى شىء جديد فى الموقف فإنهم يعجزون عن تضمينه فى حديثهم ؛ فمثلاً قد يستطيع الطفل أن يتكلم باستفاضة عن قطعة موسيقية معينة ، ولكنه يبدو غير قادر على أن يجرى أية مقارنة مع قطعة أخرى ؛ أى أنه يعجز دائماً عن أن يربط بين شيئين ، أو يقارن بينهما ، أو أن يجيب على سؤال لماذا ؟ بالإضافة إلى ذلك فإنه حتى إذا افترضنا وجود قدر من المهارات اللغوية المناسبة ، فإن المهارات النقاشية بالذات تبدو محدودة تماماً ، فقليل جداً من هؤلاء الأطفال من يستطيع أن يجرى حواراً مناسباً ،

وغالبيتهم يفشلون فى أن يأخذوا دورا فى نقاش ، أو فى تكييف مجرى حديثهم لمقتضيات الموقف ، وأن يأخذوا فى اعتبارهم وجهة نظر الطرف الآخر .

إن الصعوبات التى تكتنف الطفل التوحدى ليست مقصورة على استخدامه للغة ، بل تتعداها إلى صعوبة فهم ما يقوله الآخرون ، فبعض هؤلاء الأطفال يبدوون كما لو كانوا غير واعين بما يقوله الآخرون ، بينما هناك بعض آخر يبدو مستوعبا إلى حد ما ، إلا أن هذا الفهم يبدو مقصورا على المواقف والأحداث الحسية بحيث يتعطل تماما حين يتعلق الأمر بالمجردات ، فهم يفسرون الأشياء التى تقال لهم نصيا ، وغالبا فإن الفهم الذى يكونه الطفل للكلمة هو المعنى الذى تشير إليه الكلمة حين تعلمها أول مرة ، فالطفل التوحدى جامد فى سلوكه ، ولا يستطيع أن يعدل شيئا تعلمه ، وبسبب هذا الجمود فهو لا يستطيع أن يفهم إلا المعنى الحرفى لكل شيء فهو لا يستطيع أن يستخدم تعبيراً مجازياً ، ودعا الجمود لا يقتصر فقط على فهم ما يقوله الآخرون ، بل يشمل ما يقوله هو أيضا . وإذا كان لهذه المشكلة أصولا تتعلق بطبيعة سلوكهم التوحدى ، فإنه من المهم أيضا أن نشير إلى أنها قد ترجع إلى طبيعة مواقف آباء الأطفال التوحديين فى مسلكهم مع أبنائهم ؛ لأنهم يتكلمون إلى أبنائهم بطريقة غير سوية فقد قام " فرنك - ١٩٨٣ " بدراسة قارن فيها الطريقة التى يتعامل بها آباء وأمّهات عشرة من الأطفال التوحديين مع آباء وأمّهات مجموعة مماثلة من الأطفال العاديين ، وقد وجد أن لغة كل من الأطفال التوحديين والعاديين متشابهة ، وكان متوسط أعمارهم ٤ سنوات بالنسبة للمجموعة الأولى ، ١,٥ سنة بالنسبة للمجموعة الثانية ، وقد تبين للباحث وجود مجموعة من الاختلافات تمثلت فى أن آباء الأطفال التوحديين أقل استخداما للغة مع أطفالهم ، وخاصة ما يتصل منها بشخصية الطفل وسلوكه ، كما أنهم يميلون إلى إلقاء أسئلة أكثر على أطفالهم ، ويستخدمون الأسماء بكثرة ، وقد يكون هذا الاختلاف مبررا لإفراط

الأطفال التوحيديين فى استخدام الضمائر والأسماء فى مفرداتهم اللغوية ، بينما لم تكن هناك فروق فى العبارات التى استخدمها الآباء فيما يتعلق بما يجب وما لا يجب عمله ، أو فى مستوى التشجيع الذى قدمه الآباء فى المجموعتين ، وعموما فإن الدراسة تشير إلى أن أوجه التشابه قد تجاوزت أوجه الاختلاف ، وأنه لا يمكن أن نفسر الحرفية والجمود التى تميز لغة الطفل التوحدى بعوامل خاصة بالتنشئة الوالدية فقط .

وهناك دراسات أخرى تظهر أن الأطفال التوحيديين الذين تعلموا الكلام بطريقة شبه عادية قد ظلوا مختلفين عن العاديين فى طريقة التفاعل .

فقد أجرت " ميرندا - ١٩٨٣ " دراسة استطلاعية على ٤ أطفال توحيديين تقع أعمارهم بين ٦ إلى ١٥ سنة يتمتعون بمهارات لغوية جيدة تم مقارنتهم بأربعة أطفال عاديين تقع أعمارهم بين ٦-١٢ سنة حيث قامت الباحثة بدراسة سلوك التطلع إلى الآخرين أو النظر فى وجه الآخر من خلال موقفين : الأول منهما كان الأطفال يتكلمون طول الوقت فكان عليهم أن يرووا قصة للباحث، وأن يصفوا شيئا حدث لهم ، أما الموقف الثانى فكان عبارة عن ديالوج أو حوار يقوم فيه الباحث بالردشة مع الطفل بهدف الحصول على بعض المعلومات منه، وقد تبين للباحث أنه على وجه العموم لا يوجد اختلاف بين المجموعتين من الأطفال فى سلوك توجيه النظر للباحث ، فمن حيث المدة الزمنية كان هناك تشابها ، إلا أن الاختلاف كان فى نوعية أو كيفية النظر من جانب الطفل التوحدى ، فحينما كان الحديث فى شكل متصل ؛ أى فى الموقف التجريبي الأول بدا أن الأطفال التوحيديين ينظرون أكثر ولفترات أطول إلى الباحث ، والعكس من ذلك كان فى مواقف الحوار أو الديالوج حيث بدا أن الأطفال العاديين هم الذين يطيلون النظر إلى وجه الباحث ، وتبدو هذه النتائج مثيرة حيث إنها تعطى انطباعا بوجود فروق كيفية بين أفراد المجموعتين فيما يتعلق



بسلوك النظر أو التطلع إلى الآخر خلال مواقف التفاعل ، وهذا معناه أن الأشخاص العاديين ينظرون إلى الآخر في مواقف الاستماع ، والعكس صحيح حينما يكونوا في مواقف الكلام .

وترجع الباحثة فشل الطفل التوحدي في هذا السلوك إلى قصور مهاراته على الحوار كما أشرنا إلى ذلك ، وعموما فإنه على الرغم من أن بعض الأطفال التوحديين قد يكتسبون بعض اللغة المفيدة ، إلا أن الغالبية ليسوا كذلك ، كما أن الكلمات ليست هي الوسيلة الوحيدة التي نشير بها إلى العالم من حولنا ، فقد نستخدم أساليب غير لفظية للتواصل ؛ ولذا فسوف نفسح مجالا للحديث عن بعض أساليب التواصل غير اللفظي لدى الطفل التوحدي ، ونحن نتوقع أن الطفل التوحدي إذا كانت لديه صعوبات في استخلاص معانٍ من مواقف معينة أو في استخدام تلك المعاني بشكل مجرد فإن من المتوقع أيضا أنه قد لا يوفق في التواصل بطريقة غير اللغة .

-هل يمكن للأطفال التوحديين أن يفهموا ويستعملوا أساليب غير لفظية في عمليات التواصل؟

عامّة لا يميل الأطفال التوحديون إلى التواصل بأساليب غير لفظية ، ذلك أن وجوههم لا تعكس إلا تعبيرات ضعيفة ، كما أنهم لا يستخدمون أيديهم أو أجزاء من أجسامهم بنفس الطريقة التي يؤدي بها الطفل العادي ، فالطفل التوحدي لا يستعمل تلميحات تلقائية لتعويض صعوبات التواصل اللفظي مع الآخرين ، كما أنه لا يقارن بالطفل الأصم ، والذي قد لا تكون لديه لغة منطوقة، إلا أنه يبدي رغبة حقيقة في التواصل ، لدرجة أنه قد يخترع تلميحات وإشارات تدفع الآخرين لمحاولة فهمه .

غير أن بعض الأطفال التوحديين يستخدمون أحيانا بعض صور التواصل غير اللفظي فمثلا قد يسلكون مثل الأطفال الصغار فيلجأون إلى البكاء أو الصياح؛ كي ينبهوا الآخرين أنهم يريدون شيئا ، وفيما عدا صور الصياح أو البكاء فإنهم لا يعطون أى مؤشرات أخرى تكشف عن الشيء الذى يريدونه تحديدا ، أو يصبح الأمر مرهونا بتخمين الآباء ، وهذه وسيلة تشبه ما يفعله طفل عادى رضيع .

ومع تقدم الطفل التوحدى فإنه يستطيع أن يفصح لآبائه عما يريد به بأساليب تختلف عن الطفل العادى ، فبعض هؤلاء الأطفال يشيرون أو يوجهون نظرهم إلى الشيء الذى يريدونه ، ولكنهم نادرا ما يؤمنون إلى ذلك الشيء تحديدا بما يفيد الموافقة أو عدم الموافقة ، ولأن هؤلاء الأطفال لا يتواصلون بأساليب غير لفظية فإنهم بالتالى ليس لديهم فهم للتعبيرات أو التلميحات التى تصدر من الآخرين ، ومن ثم فهم أيضا يعجزون عن تفسير مشاعر الآخرين بطريقة صحيحة ، وكنتيجة لذلك فإنهم قد يستجيبون بطريقة غير مناسبة .

وعلى الرغم من كل هذا فقد بذلت بعض محاولات لتعليم الأطفال التوحديين أساليب تواصل غير لفظى . وهناك ما يشير إلى أن بعضا من الأطفال التوحديين حتى بالنسبة للحالات الشديدة منهم يمكن أن يتعلموا التعبير عن الحاجات الأساسية باستخدام الإشارات والرموز ، وأن ذلك التحسن يمكن أن يقود إلى النمو فى لغتهم المنطوقة .

### النمو الاجتماعى للأطفال التوحديين

إن الأطفال التوحديين يصبحون معاقين بصورة واضحة حين يدخلون طرفا فى علاقة تفاعل مع الآخرين ، ولقد كانت عزلتهم الاجتماعية واحدة من أهم الصعوبات الأولية التى قررها "كانر" وتتوافر معلومات وحقائق متناثرة عن

مظاهر السلوك الاجتماعي المبكر لدى الأطفال التوحديين ، ويذكر " ونج - ١٩٧١ " أنه قد وجه سؤالاً لمجموعة من الآباء بشأن النمو المبكر لسلوك أطفالهم التوحديين الذين تقع أعمارهم بين ٦ إلى ١٥ سنة ، وقد وجد أن ١٤ من ٢٧ طفلاً كانوا معاقين منذ الميلاد حسبما قرر آبائهم ، وأن عدداً من هؤلاء الأطفال فشل في تحقيق أى مظهر للسلوك الاجتماعي بالنسبة لمستوى عمره الزمني بل إن ذلك التأخر في النمو استمر إلى مراحل تالية ، وأن عشرة أطفال قد أخفقوا في رفع أيديهم حينما تقدم نحوهم الآباء كي يلتقطونهم ، وأن سبعة منهم قد أظهروا استجابات ضعيفة جداً لصوت أمياتهم ، بينما أحد عشر منهم لم يتمكنوا من لفت انتباه آبائهم إلى الأشياء التي يريدونها ، ولا شك أن تلك السلوكات تمثل جزءاً مهماً في التفاعل الاجتماعي الطبيعي .

كما يقرر " روتر - ١٩٧٨ " عدم وجود أى شكل من سلوك الاتصال الذي يعتبر خاصية أساسية لدى الأطفال العاديين ، فالطفل التوحدي لا يميل لأن يكون قريباً من والديه ، كما لا يبدي اكتراثاً بحضورهم أو غيابهم ، وفوق هذا فهو لا يلمح بتعبيراته إلى ما يشير إلى الترحيب بهم .

كما يذكر " روتر " أن هؤلاء الأطفال يفشلون في التواصل البدني مع آبائهم من أجل تحقيق الشعور بالراحة والأمان .

غير أن " روتر " في دراسة أخرى ( ١٩٨١ ) يذكر أن هؤلاء الأطفال يمكن أن يتواصلوا ويتفاعلوا إذا زاد الإلحاح عليهم من أجل تحقيق التفاعل الاجتماعي ، وأنه لا يتوقع تقريباً أى سلوكات اجتماعية بين الأطفال التوحديين إذا تركوا لحالهم ، بينما نجد أن وجود المدرس مع الأطفال يؤدي إلى زيادة السلوك الاجتماعي ، وإن كان هذا السلوك يتجه بالدرجة الأولى نحو المدرس أكثر من الأطفال فيما بينهم ، ذلك لأن السلوك الاجتماعي ينشط بحكم تعزيز

المدرس له ، وتؤكد الدراسة أن فترة ثمانية شهور ، قد حققت تحسنا ملحوظا في السلوك الاجتماعي لدى هؤلاء الأطفال ، وفي المستقبل حققت تناقصا في السلوكيات اللااجتماعية ، غير أن طبيعة السلوك الاجتماعي مع الآخرين تبقى بالنسبة لهؤلاء الأطفال مختلفة عنها لدى الأطفال العاديين.

إن من المتفق عليه أن الأطفال التوحديين يتحاشون التواصل بالعين ومع هذا فإننا نجد بعض حالات خاصة منهم ، وفي ظروف خاصة قد تكون حققت شكلا من أشكال التواصل بالعين حينما يتكلمون إلى الآخرين ، وإن كان شكل هذا التواصل يختلف في طبيعته كما أشارت إلى ذلك دراسة " ميرندا " السابقة الإشارة إليها ؛ حيث نوهت إلى أن الأطفال التوحديين قد نظروا إلى الآخر لفترة أطول حينما كانوا هم المتكلمون ، وأن العكس كان صحيحا حين كانوا في موقف الاستماع ، وأن تلك النتائج جاءت على العكس تماما بالنسبة للأطفال العاديين ، إن هذا يكشف عن أن الطفل التوحدي ليس لديه نفس الفهم الذي لدى الطفل العادي فيما يتعلق بعملية التفاعل ، ومن المعروف أن الأطفال الصغار يبدون منذ السنة الأولى قدرة واستعدادا لتبادل المشاعر مع الآخرين ، أي أنهم يفعلون شيئا ، ومن ثم فإن الكبار يفعلون شيئا آخر مماثل وهكذا ؛ أي أن التفاعل يكون متوازنا متبادلا .

ولا شك أن غياب تلك التبادلية في عملية التفاعل الاجتماعي هي العنصر الأساسي في تخلف السلوك الاجتماعي لدى الأطفال التوحديين ، وذلك نظرا لأنهم يعجزون عن التنبؤ بما سيفعله الآخرون ، كما أنهم يبدون غير قادرين على تعديل سلوكهم بما يساير سلوك الآخرين .

إن بعض سلوكيات الطفل التوحدي يمكن تفسيرها بعدم قدرته على محاكاة سلوك الآخرين ، فمثلا قد لا يستطيع أن يبتسم للآخر الذي يفعل ذلك ،

أو أن يصفق حينما يصفق الآخرون ، وفي كل الأحوال فإن من الواضح أن مصدر الإخفاق لديهم فيما يتعلق بالسلوك الاجتماعي هو عجزهم عن تبادل المشاعر في المواقف الاجتماعية ، أو على الأقل في العجز عن فهم الطبيعة التبادلية في عملية التفاعل الاجتماعي ، ولذا نجدهم عاجزين عن تفسير مشاعر الآخرين خاصة من خلال التواصل غير اللفظي ، فقد لا يدرك الطفل أن الشخص الذي يتكلم إليه يبدو ضجرا أو متمللا من حديثه على الرغم من أن وجه هذا الشخص وتصرفاته تعبر عن ذلك ، فهو مثلا قد يشيح بوجهه بعيدا أو ينظر من نافذة أو يكرر تناوئه وهي سلوكيات يستوعبها الطفل العادي بسهولة ، وهكذا يبدو أن لديهم قصورا في توفيق سلوكهم مع حاجات الآخرين .

يذكر " بنبرد - ١٩٧٩ " أنه قد تتبع حالة من حالات " كانر " الأصلية عند سن ٣١ سنة ، ويذكر أنه على الرغم من أنه كان رجلا عادي الذكاء إلا أنه كان غير قادر على فهم مشاعر الآخرين ، أو على التنبؤ بما سيكون عليه سلوكهم .

كما يصف " روتر - ١٩٨٣ " حالة صبي كان يبحث عن مساعدة لأنه كان دائما مزعجا للآخرين ، وبدا غير قادر على أن يستجيب بشكل مناسب لمن حوله ، ومع هذا فإن حقيقة أنه يبحث عن المساعدة توحى بأن لديه بعض الفهم ، أو التقدير لمشاعر الغير ، أو لأن الصعوبات التي لديه قابلة للعلاج .

ويبدو أن السلوك الاجتماعي للطفل التوحدي ليس قضية مفهومة حتى الآن ، فأحيانا يبدو الطفل عاجزا عن التمييز بين البشر وبين الأشياء ، بل أنه في بعض الأحيان لا يبدى وعيا ببعض الأشياء التي تميز الأفراد عن الماديات ، وفي حين أن " هوسن - ١٩٨٤ " قد أوضح أن هؤلاء الأطفال يمكنهم التعرف على المنظور الخاص لدمية من خلال الأنشطة البصرية المكانية ، وأن دراسة "

بارون - ١٩٨٥" قد كشفت أنهم لا يستطيعون تقدير مواقف الآخرين حين تختلف عن مواقفهم ، فهناك دراسات تشير إلى قدرتهم على التعرف على صور أصدقائهم من رؤيتهم لبعض ملامحهم ، أما دراسة " روتر - ١٩٨٣ " فإنها تقترح أن مصدر الصعوبة لديهم يكمن فى العمليات المعرفية المرتبطة بفهم دلالات الموقف الاجتماعى أى إلى أى مدى يتوافق الطفل التوحدى مع صعوباته؟

يختلف الطفل التوحدى فى موقفه من إعاقته عن أطفال فئات الإعاقات الأخرى ، فهو لا يبدى سوى أدنى حد من الإشارات التى توضح أنه يشعر بإعاقته ، وإن اختلف الأمر قليلا عن ذلك حين يتقدم العمر به حيث لا يبدو واعيا بمدى الغرابة فى سلوكه على الرغم من أنه قد يكشف فى حالات خاصة عن سلوكيات غاية فى الشذوذ مثل خلع جميع ملابسه فى الشارع ، أو إيداء عبارات مخجلة بشأن الآخرين ، وهو لا يفعل مثل هذه الأفعال الشاذة من أجل جذب انتباه الآخرين فى موقف صعب ، أو للتعبير عن صعوبات نفسية لديه بعكس الطفل العادى الذى قد يلجأ إلى بعض السلوكيات الشاذة من أجل الاستحواذ على بعض انتباه الآخرين نحوه ، أو الاهتمام بمشكلة ؛ أى أن الطفل التوحدى ليس من أهدافه أن يؤثر على سلوك الآخرين .

كما أن من بعض خصائص التوحدية عدم تفضيل التغيير مثل تغيير الأشياء أو الروتين اليومى للحياة ، ولذا فإنه يبدو منزعجا إلى أقصى حد أمام أدنى تغيير ممكن ، ولذا فهو يسعى دائما إلى تجاهل أى تغيرات تحدث من حوله، ويبدو أن ما يحدث هو أن الطفل التوحدى حين يتذكر أشياء فهو يدركها بكل تفاصيلها الدقيقة ، ولأنه يركز على المصادر الحسية التى تحقق له استئارة نحو الأشياء ، فإن ذلك يسبب له اضطرابات كثيرة فى سلوكه ؛ لأن الأشياء عادة ليست بنفس الطريقة والتفاصيل التى تذكرها بها ، وغالبا ما يبقى شعوره

بالضغط والتوتر قائما حتى يعاد كل شيء إلى نظامه الأصلي وإلى ترتيبه الأول، ومن هذا المنطلق فإن طبيعة الطفل التوحدي تسبب له أقصى درجات التوتر ، ولذا يبدو هؤلاء الأطفال غير سعداء ، وقد يكون أو يشعرون باليأس من دون سبب واضح ، وفي مناسبات أخرى قد يكون مصدر هذا الألم لديهم محددا مثل التغيير في النظام من حولهم كما ذكرنا ، وربما يتوترون أمام أدنى خبرات الفشل والإحباط ، وكل ذلك قد يوحي بأن لديهم وعيا بمدى اختلاف حالتهم عن الآخرين .

### بعض الدراسات السلوكية للأطفال التوحديين :

من المؤكد أن دراستنا لسلوك أى مجموعة يمدنا غالبا بفهم أعمق بالخصائص السلوكية لأفراد تلك المجموعات ، ولا شك أن دراسة الأطفال التوحديين قد حققت هذا الهدف ، فقد مكنتنا من أن نعرف بشكل واضح أهمية التواصل البصرى فى عمليات التفاعل الإنسانى ، كما قدمت مجموعة من المقترحات والتفسيرات الممكنة لأصول ووظائف بعض السلوكات النمطية ، بالإضافة إلى أنها أكدت الحاجة لمزيد من الجهود الاستكشافية كضرورة لتحقيق توافق صحيح مع ظروف البيئة دائمة التغيير .

ومجموعة الدراسات التى نعرضها هنا نشرها " هارد - ١٩٦٦ " تحت عنوان دراسات بيولوجية عن التوحدية ، وأوضح أن ملاحظاته على أفراد دراساته قد تمت فى مواقف طبيعية تماما ، حيث إنه فى مثل تلك المواقف يمكن أن نتعامل مع الظاهرة حية ومتشابكة مع عناصر المواقف الأخرى ، وكانت الأسئلة التى تشغل اهتمام الباحث تدور حول العوامل البيولوجية التى تؤثر فى سلوك بعض الأجناس ما هى طبيعة هذه السلوكات ؟ وما بنيتها أو شكلها ؟ وما

الأسباب التي تقف وراءها ؟ ثم ما الوظائف التي تحققها للكائن الحي ؟ وما أثر ذلك على سلوك الآخرين ؟

### سلوك النظر إلى الآخر :

من المعروف إنه منذ مراحل الطفولة المبكرة للأطفال التوحديين أن هناك قصورا واضحا في العلاقات الاجتماعية ، وأن تلك الخاصية هي الأكثر بروزا ، وأن هؤلاء الأطفال يوصفون باللامبالاة واللااجتماعية ، وبالمفصلين ، وبالمنسحبين ، ومن هنا فإن علاقاتهم الاجتماعية من القضايا المستهدفة دائما للدراسة إنهم دائما أو في معظم الحالات معزولون في لعبهم ، ومع هذا فإن بعض الأفلام المصورة عن سلوكهم الاجتماعي تبين أنهم أحيانا ينطلقون نحو شخص بالغ ، ويتعلقون بملابسه ، ويرفعون أيديهم كما لو كانوا يسألونه أن يحملهم ، وتحليل تلك الملاحظات اتضح للباحثين أن أسلوبهم في ذلك يشابه مع سلوك العاديين فيما عدا مظهر أو ملمح واحد وهو التحول بنظره عن وجه الشخص الآخر ، وحيث إن الوجه الإنساني كان دائما متجنباً من جانب هؤلاء الأطفال ، فقد أجرى " هت " دراسة لمعرفة ما إذا كانت بعض ملامح الوجه ستكون أكثر جذبا أو أكثر تجنباً بالنسبة لهم ، وبمساعدة عدة نماذج حاول الباحث أن يكون بعض صور من سلوك الإقدام أو الإحجام لدى هؤلاء الأطفال ، وكانت النماذج المستخدمة عبارة خمسة أوجه من خمسة أشكال هي وجه سعيد ، حزين ، من دون تغيرات محدودة ، وجه قرد ، وجه كلب . وقد وجد الباحث أن الطفل التوحدي يعتمد في معظم الأحيان أن يتجنب الوجه السعيد ، ويفضل مواجهة الوجه الغفل من التعبيرات ، وأوجه الحيوانات أكثر من الوجهين الآخرين ، أما بالنسبة للأطفال العاديين في نفس العمر الزمني فقد أظهروا اهتماما أقل بالوجه الخالي من التعبير ، وكان معظم اهتمامهم متجها للوجه



السعيد ، وهكذا تكشف هذه التجربة الأولية أن ملامح الوجه المبتسم هي الأقل إقبالا من الطفل التوحدي ، بينما هي الأكثر إقبالا من الطفل العادي .

### سلوك العزلة عن المجال لدى الأطفال التوحديين :

درس " هارت - ١٩٦٥ " سلوك مجموعة من الأطفال التوحديين لمعرفة مدى تأثيرهم بالتغيرات التي تطرأ على البيئة من حولهم ، وقد اعتمد على أربعة مواقف بيئية متباينة في درجة تعقيدها ، وهي :

- ١- غرفة خالية تماما .
- ٢- نفس الغرفة وفي داخلها صندوق به قطع من المكعبات .
- ٣- نفس الغرفة في رقم ( ٢ ) مع وجود شخص بالغ سلبي لا يشارك في أى نشاط.
- ٤- نفس الغرفة كما في رقم ( ٢ ) مع وجود شخص بالغ نشط مشارك ومندمج في مواقف اللعب مع الطفل .

وقد تم تعريض كل طفل للمواقف الأربعة ، وقد وجد الباحث أن طول الفترة الزمنية التي أمضاها الطفل تتحدد في ضوء درجة تعقيد الموقف في الغرفة ؛ بمعنى أن الموقف يزداد صعوبة بتزايد مكونات الموقف ، كما لاحظ أنه على الرغم من أن الشخص البالغ كان قادرا على منع تكرار السلوك النمطي عند الطفل ، إلا أنه كان هناك ما يشير إلى أهمية الحاجة المتزايدة من جانب الطفل لتأدية هذا النشاط في هذا الموقف ؛ أي أن الأمر يتوقف بالدرجة الأولى على شعور الطفل أو رغبته في الأداء .

### السلوك داخل جماعة :

من منظور إحدى الدراسات التي أجراها " هت - ١٩٦٦ " بشأن القصور في العلاقات الاجتماعية للطفل التوحدي فإنه من المثير أن نعرف كيف

يتفاعل هؤلاء الأطفال مع أقرانهم ، وكيف تأثرت استجاباتهم الاجتماعية تبعاً لاختلاف حجم الجماعة التي ينتمون إليها ، فقد استخدم الباحث ثلاث مجموعات متفاوتة الأحجام على النحو التالي :

- أ - مجموعة صغيرة وتتكون من أقل من ( ٧ ) أفراد
- ب- مجموعة متوسطة تتكون من ٧ إلى ١١ طفلاً .
- ج- مجموعة كبيرة أكثر من ١١ وحتى ٢٠ طفلاً .

وقد قارن بين سلوك ثلاثة أنواع من الأطفال ( أطفال عاديون - أطفال لديهم إصابات مخية بسيطة - أطفال توحديون ) وقد سمح لهم جميعاً بأن يلعبوا بطريقة طبيعية في حجرة الألعاب بينما قام بالملاحظة شخص لا يراه أحد ، ومن موقع يسمح له بتسجيل بعض السلوكات الخاصة التي تصدر عن الطفل ، وقد تم دراسة سلوك الأطفال تحت الكثافة العددية للمجموعات الثلاث ، وقد وجد أن الزيادة في حجم الجماعة قد أدت إلى زيادة موازية في السلوك العدواني ، وخاصة في الأطفال ذوي الإصابات المخية .

أما الأطفال العاديين فقد أظهروا زيادة طفيفة في سلوك العدوان فقط في حالات المجموعات الكبيرة جداً ، أما الأطفال التوحديين فقط جنبوا أنفسهم التفاعل مع الجماعة ، وكانوا دائماً متواجدين عند هامش الغرفة ، وفي بعض الحالات كانوا يجلسون ووجوههم متجهة نحو الحائط ، ويندمجون في بعض صور السلوك الذاتي مع أنفسهم ، وفي بعض المواقف التي يتواجدون فيها مع أطفال آخرين لم يحاولوا الشجار مع أحد من أجل تملك لعبة ، وإذا أمسك طفل آخر بلعبهم فإنهم يتخلون عنها كلياً بسرعة وبلا مقاومة . والشئ الأكثر إثارة للدهشة أن هؤلاء الأطفال التوحديين لم يكونوا أبداً هدفاً للهجوم من أحد .

## سلوك الاستكشاف :

يعتبر سلوك الاستكشاف وحب الاستطلاع سلوكا بالغ الأهمية للجنس البشرى ، ومن أجل دراسة هذا السلوك فقد قام " هت " بتصميم لعبة جديدة بهدف تحقيق حفز استثارة سمعية وبصرية للطفل ، وقد تم تقديم هذه اللعبة للطفل حينما أصبح على ألفة كاملة بحجرة اللعب التى استخدمها الباحث ، كمكان للتجربة حيث استخدمت تلك اللعبة الجديدة ، إضافة إلى مجموعة من الألعاب لمدة عشر دقائق يوميا ، وعلى مدى ستة أيام متوالية ، وقد وجد أن الأطفال العاديين والأطفال الذين لديهم إصابات مخية قد أبدوا اهتماما كبيرا باللغة الجديدة ، وأنهم تفحصوها بدهشة خاصة خلال الثلاثة أيام الأولى ، بينما وجد أن الأطفال التوحديين قد تجنبوها ، وإن كان سلوكهم يوحي بأنهم على وعى بوجودها ، غير أنهم يحاولون تجاهلها ، والسؤال هنا الآتى :

- هل يمكن تأسيس سلوك اجتماعى لدى الأطفال التوحديين باستخدام صدمة كهربية ؟

من الدراسات المثيرة فى هذا الشأن الدراسة التى قام بها " لوفاس - ١٩٦٥ " بهدف معرفة مدى فعالية استخدام نوع من السلوك المؤلم فى تعديل سلوك الأطفال التوحديين ، وقد اختار مجموعة دراسته من أفراد هذه الفئة لسببين :

أولهما أنهم لم يظهروا أى تحسن باستخدام أساليب المعالجة الطبيعية والنفسية والعادية .

الثانى : أنهم إلى حد بعيد غير مستجيبين للمثيرات فى الحياة اليومية ، وفى تلك الدراسة قام " لوفاس " بتوليد الألم بواسطة شبكة كهربية على أرضية الغرفة التى يقف عليها الأطفال ، حيث كانت الصدمة تتولد مباشرة عقب أى سلوك انعزالي من الأطفال ، بينما توقف فى الحال حينما يقترب الطفل من شخص بالغ

موجود فى الغرفة ، وهكذا فـلقد تحول الكبار إلى رموز إنفاذ للأطفال من المواقف المسببة للألم ، بل أنهم أصبحوا ملاذهم للإنفاذ من البيئة المؤلمة ، وقد أوضحت الدراسة أنه قد يصبح من الممكن تعديل سلوكهم باستخدام صدمة كهربية ، حيث تعلموا الاقتراب من الكبار لتفادى الصدمة ، كما أن الصدمة كانت فعالة فى إهمال السلوكات المرضية تجاه الكبار خاصة بعد أن حدث ارتباط شرطى بين الكبار وبين تخفيض الشعور بالصدمة .

### تطبيقات :

١- تظهر النتائج أن جـدة المثيرات ، وتعقد البيئة والتغير المفاجئ فى الروتين، وحدث أى درجة من الصراع والإحباط تمثل جميعها عوامل تزيد احتمالية حدوث السلوك المضطرب كما أن السلوكات الشاذة يمكن تخفيضها بشكل واضح من خلال تبسيط عناصر البيئة، أو تطويل فترة المألوفية بالموقف الجديدة .

٢- إن المدرس والمعالج والمرضة يجب أن لا يشيخوا بوجوههم عن الطفل التوحدى كلما كان ذلك ممكنا، وفى نفس الوقت عليهم ألا يوجهوا إليه نظرهم، وبشكل مباشر .

٣- من الأفضل أن نتجاهل بشكل واضح سلوك الطفل حتى تتوفر فرصة لا يكون فيها فى هيئة جامدة أو فرصة يبدى فيها بعض علامات الاهتمام بالبيئة ، وهذه - بالطبع - تتطلب تنظيما ذاتيا عاليا من جانب المدرس الذى تعود بطبعه لأن يستجيب غالبا للطفل غير المشارك فى الموقف كمحاولة منه لاستثارتة .

٤- هناك بعض الدلائل على أن الملامسة الجسدية والمعانقة وتبادل المشاعر تؤدى إلى تخفيض الاستثارة ، ومن ثم فإن التواصل الجسمى لفترات مناسبة مع تفادى النظر المباشر فى وجه الطفل والإحجام عن إبطاره

بسيل من الإشارات السمعية كل ذلك قد يكون نقطة بداية مفيدة للتعامل معه .

٥- أن يتم التجديد والتعقيد بدرجات متدرجة وعند مدى متوسط ، وأن يوفر وقتا كافيا للمألوفية عند كل خطوة .

٦- فى الحقيقة أن هناك تزايدا فى الأدلة بأن الأطفال التوحيديين يحققون تقدما تعليميا أحسن فى مواقف التعليم غير الشخصى ، فهم يتعلمون من آلة التعلم " الكمبيوتر مثلا " أفضل من مواقف الوجه للوجه كما هو الحال فى الفصول التقليدية .

## المراجع

- ١- سهام على عبد الغفار :فعالية برنامج إرشادى للأسرة، وتدريبى على المهارات الاجتماعية للتخفيف من أعراض الذاتوية - دراسة دكتوراه - كلية التربية بكفر الشيخ \_ جامعة طنطا .
- ٢- عثمان فراج : إعاقة التوحد أو الاجترار - النشرة الدورية لاتحاد هيئات رعاية الفئات الخاصة - العدد ٤٥ - ١٩٩٤ - القاهرة .
- ٣- عمر بن الخطاب خليل: التشخيص الفارق بين التخلف العقلى واضطراب الانتباه والتوحدية - مجلة دراسات نفسية - يوليو - ١٩٩٤ .
- 4 - Anderson, M :The development of contingent discovers abilities in autistic children, J. of Child Psychology and Psychiatry, 22, 2, 171-189 ( 1985 )
- 5 - Baron, C : Do people with autism understand what causes emotion? Child Development , 26, 2, 385-397.(1991 )
- 6 - Frank, L : Early Childhood Autism, Clinical, Educational, and Social aspects, Toronto.( 1983 )
- 7 - Forestom, E : Autism and pervasive developmental disorder, J. of Autism Disorders, 28, 5, 447-456. (1983 )
- 8 - Harrold, H : Behavior Disorders of Childhood, Prentice Hall, Englewood Cliffs, New Jersey, ( 1991)
- 9 - Hubsonn, M : Teaching Daily Life Skills for Children with Autism through Self- management, J. of Applied Behavior analysis,27,3, 471-481.(1984)
- 10 - Hukson, L : The nature and specificity of the language coding deficit in autistic children, British Journal of psychology, 75, 6, 95-103.( 1985 )
- 11 - Lovas, J : Daily life therapy, A Japanese model for educating children with autism, J. of Autism and Developmental Disorders, 19, 5, 625-635 (1965)

- 12 - Merranda, L: Improving Social Skills and Disruptive behavior in Children with Autism. J. of Applied Behavior analysis, 25, 4, 341-354. (1992 )
- 13 - Ruskem, F : A study of High Functioning Autistic Children, J. of Autism and Developmental Disorders. 19, 6, 213-226. ( 1994 )
- 14 -Rutter, M : Cognitive deficits in the pathogenesis of autism. J. of Child Psychology, 24, 5, 513-530.( 1983 )
- 15- Ungerer, J : The early Development of Autistic Children. New York, Guilford Com. ( 1988 )